

## عيد الطبقة العاملة وقضاياها

يُحيي العالم الأول من مايو «عيد العمال العالمي»، في مناسبة سنوية لتكريم دور الطبقة العاملة وتسليط الضوء على التحديات التي تواجه العمال، وفي مقدمتها قضايا الأجور، ظروف العمل، والضمان الاجتماعي. وفي البحرين، تأتي هذه المناسبة وسط دعوات متجددة لتحسين بيئة العمل وتعزيز الحماية الاجتماعية للعمال، لاسيما في ظل المتغيرات الاقتصادية الإقليمية والدولية. وتعيد هذه المناسبة إلى الواجهة المطالبات بإعادة تفعيل الحوار الاجتماعي بين أطراف الإنتاج الثلاثة - الحكومة، أصحاب الأعمال، والعمال - بما يساهم في إقرار سياسات عادلة ومستدامة تحمي حقوق الجميع وتوازن بين متطلبات التنمية الاقتصادية وكرامة العامل، وتتجدد الدعوات إلى إنشاء مجلس أعلى للأجور، وإعادة النظر في سياسات الدعم الموجه للعمال ذوي الدخل المنخفضة، إلى جانب تعزيز برامج التدريب والتوظيف وتكافؤ الفرص بين الجنسين، ويؤكد نقابيون أن الحفاظ على استقرار سوق العمل البحريني وتعزيز العدالة الاجتماعية فيه، يشكلان ركيزة أساسية للنهوض بواقع العمال، بما يضمن نمواً شاملاً لا يقصي أحداً، ويرسخ مبادئ الكرامة والعدالة والتمكين.

في بيانه بمناسبة الأول من مايو أعاد المنبر التقدمي التأكيد على أمور عديدة أخرى تمس واقع ومستقبل طبقتنا العاملة وتجعلها في ظل هواجس وبواعث قلق على أوضاعها حالياً ومستقبلاً، وفي المقدمة منها ما يتعلق بوضع صندوق التقاعد وما يتعرض له من استنزاف كبير وخطر في موارده المالية، إضافة إلى تحميل الصندوق أعباء تقاعد أعضاء مجلسي النواب والشورى وكذلك أعضاء المجالس البلدية، وهذا عبء يكلف الصندوق أموالاً طائلة، وإلى جانب ذلك دخول الصندوق في مشاريع استثمارية ليس فقط لم تحقق العوائد المرجوة، بل أدت إلى المزيد من الاستنزاف المالي مع غياب الشفافية في مسار أعمال هذه المشاريع.

كما وقف بيان التقدمي عند واقع سوق العمل في بلادنا وما يزخر فيه من تشوهات مقلقة، بدءاً برفض اشتراط جعل البحريني الخيار الأول في سوق العمل مما سمح بازدياد أعداد العمالة الوافدة بشكل مقلق في مختلف مواقع العمل، وهو الأمر الذي تفاقم مع قرار الفيذا المرنة مما سمح بارتفاع حجم العمالة الوافدة إلى 631 ألف عامل في النصف الأول من عام 2024، ويحدث في ظل وجود الآلاف من أبناء الوطن العاطلين عن العمل ومنهم أعداد كبيرة من أصحاب الشهادات العليا والتخصصات المطلوبة في سوق العمل من أطباء ومهندسين ومحامين وغيرهم.

# التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 210 السنة 23 - مايو 2025

الأول من مايو

## مطالب متجددة لحماية حقوق العمال



التقدمي» يُودع  
المناضل إبراهيم  
الجمري



محطات  
من سيرة  
المناضل  
أحمد حميدان



## المنبر التقدمي يدعو إلى استدارة سياسية شاملة

بالولايات المتحدة. واعتبر المنبر أن هذه التحولات تمثل فرصة تاريخية إذا ما اقترنت بإصلاحات داخلية تضمن مشاركة الشعوب وتكريس السيادة الوطنية. أما دولياً، فقد استعرض التقرير تراجع المنظومة الغربية وصعود اليمين المتطرف عالمياً، مشيراً إلى تحالف غير مسبوق بين القوى الفاشية الجديدة واليمين الصهيوني، وهو ما يشكل خطراً مباشراً على الشعوب وقضايا التحرر، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية. وأشاد بالتحركات الدولية المناهضة للاحتلال، وخصوصاً دور جنوب أفريقيا في ملاحقة إسرائيل أمام محكمة العدل الدولية، داعياً إلى مواصلة هذا النضال الأممي المشترك.

واختتم المنبر التقدمي تقريره بالتأكيد على أهمية بناء تيار ديمقراطي عريض يواجه الاستبداد السياسي والاجتماعي، ويعيد الاعتبار للعدالة الاجتماعية كمحور للنهوض الوطني. كما شدد على ضرورة استعادة دور الجمعيات السياسية والمجتمع المدني، وبلورة مشروع وطني جامع يتجاوز حالة الشلل السياسي والتفكك الاجتماعي.

خطة واضحة لتنويع مصادر الدخل الوطني وتوظيف العوائد النفطية في التنمية المستدامة. سياسياً، رأى التقرير أن الحياة السياسية في البحرين تشهد انكماشاً حاداً بفعل سياسات الإقصاء والتضييق، وانعدام الثقة بين الدولة والمجتمع. وانتقد التجربة النيابية باعتبارها منقوصة ومفرغة من صلاحياتها، داعياً إلى إعادة النظر في هيكلها القانوني والسياسي بما يسمح بتمثيل حقيقي للشعب وممارسة دور رقابي وتشريعي فعال.

وأشار المنبر إلى أن «الطائفية والمحاصصة» لا تزالان من أبرز معيقات العملية السياسية، مطالباً بإنهاء سياسة العزل السياسي والتوقف عن ملاحقة النشطاء والجمعيات، وتوفير بيئة تتيح حرية الرأي والتعبير والمشاركة الشعبية، مؤكداً أن الديمقراطية لا يمكن أن تبنى بمنطق الانتقاء.

وفي السياق الإقليمي، رصد التقرير تحولات جيوسياسية نوعية، أبرزها توجه دول الخليج، وخاصة المملكة العربية السعودية، نحو تنويع الشراكات الاستراتيجية والانفتاح على مجموعة «بريكس» ومنظمة شنغهاي، في محاولة لفك الارتباط الأحادي

أصدر المنبر التقدمي تقريره السياسي خلال أعمال مؤتمره العام العاشر، متناولاً قراءة نقدية للأوضاع السياسية والاقتصادية في البحرين، وسياقاتها الإقليمية والدولية، وسط دعوة واضحة إلى استدارة شاملة في النهج القائم، وإعادة بناء الحياة السياسية على أسس تشاركية وديمقراطية حقيقية.

وفي الشأن المحلي، حذر التقرير من استمرار السياسات الاقتصادية النيوليبرالية التي تعمق الاعتماد على الخصخصة وتقلص دور الدولة في الرعاية الاجتماعية، لافتاً إلى ارتفاع الدين العام لمستويات قياسية بلغت 123% من الناتج المحلي، وتراجع الإنفاق الحكومي على التعليم والصحة، مقابل ازدياد الأعباء المعيشية على المواطنين وتآكل الطبقة الوسطى.

وأكد التقرير أن اختلال التوازن بين الدولة والمجتمع ناجم عن غياب مشروع اقتصادي تنموي متكامل، وتغول السياسات الضريبية غير العادلة التي تستهدف الاستهلاك والطبقات الدنيا، بدل فرض ضرائب تصاعدية على الثروات والدخول المرتفعة. واعتبر أن هذا النهج الاقتصادي بات يهدد الاستقرار الاجتماعي ويزيد معدلات البطالة والفقر، وسط غياب

## المصرفي جناحي يناقش في «التقدمي»

## تداعيات سياسات ترامب الاقتصادية على المنطقة



أكد المصرفي خالد جناحي خلال ندوة نظمها المنبر التقدمي تحت عنوان «رؤية ترامب وتحديات الواقع.. الطموح والنتائج»، أن التحولات الاقتصادية العالمية تشير إلى تغير جذري في موازين القوى الإنتاجية والتجارية، لافتاً إلى أن الصين باتت تصدر الناتج الصناعي العالمي بنسبة 33% مقارنة بـ 7% فقط في عام 2000، مقابل تراجع الولايات المتحدة من 32% إلى 16.5% في الفترة ذاتها.

واستعرض جناحي عدداً من الإحصائيات التي تعكس تقدم الصين اقتصادياً نتيجة العولمة التي ساهمت في تحسين مستويات المعيشة في دول العالم النامي، حيث قفز نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في الصين من 960 دولاراً عام 2000 إلى 12 ألف دولار حالياً، بينما بلغ في الولايات المتحدة 67 ألف دولار بعد أن كان 33 ألف في ذات الفترة.

وأشار جناحي إلى أن الأسواق المالية العالمية فقدت أكثر من 10 تريليونات دولار منذ أبريل الجاري، بسبب السياسات الحمائية التي يتبناها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، قبل أن تستعيد نحو 4 تريليونات بعد تأجيل فرض الجمارك لمدة 90 يوماً. كما تراجع الدولار بنسبة 10% أمام الفرنك السويسري، وارتفعت أسعار الذهب إلى أكثر من 3 آلاف دولاراً للأونصة، في ظل تراجع مؤشرات الأسواق الأمريكية.

وعن تأثير تلك السياسات على الاقتصاد المحلي، حذر جناحي من احتمال انخفاض أسعار النفط إلى أقل من 60 دولاراً للبرميل، ما سيؤثر على الميزانيات العامة. كما أشار إلى خطورة التضخم المستورد نتيجة ارتفاع الرسوم الجمركية، ما قد يؤدي إلى اتساع الفجوة الاجتماعية وتقليص حجم الطبقة الوسطى في البلاد.





## فضفضة

نقابات  
للمستقبل

عيسى الدرازي

في الوقت الذي يشهد فيه العالم تحولات عميقة في بنية العمل ومستقبل القوى العاملة، لا يزال الواقع العمالي في البحرين يبرز تحت أعباء التهميش، وضعف البنية النقابية، وتراجع الدور الحقيقي للاتحادات العمالية، التي من المفترض أن تكون الحصن المنيع للدفاع عن حقوق العمال وتطلعاتهم.

تعاني الحركة النقابية في البحرين من تراجع كبير في فاعليتها وتأثيرها. فقد أفرغت النقابات من مضمونها الحقيقي، وتحولت في كثير من الحالات إلى كيانات شكلية غير قادرة على تمثيل العمال تمثيلاً حقيقياً، ولا على ممارسة دورها في الضغط والتفاوض والتأثير في السياسات العامة. وتزداد المشكلة تعقيداً مع حالة الانقسام والتشظي التي تشهدها الساحة النقابية، والتي باتت في كثير من الأحيان أسيرة صراعات سياسية أو شخصية، بدلا من أن تكون صوتاً موحداً للقضايا العمالية.

السلطة التشريعية، بدورها، لم تلعب الدور المنتظر منها في الدفاع عن حقوق العمال أو حتى مناقشة التحديات الجديدة التي تهدد مستقبلهم. أما الحكومة، فغالباً ما تتعامل مع الملف العمالي من زاوية أمنية أو إدارية بحتة، دون أي رؤية استراتيجية بعيدة المدى تراعي التحولات التي يشهدها العالم.

على الضفة الأخرى من العالم، تنشغل النقابات والاتحادات العمالية في صياغة استراتيجيات متقدمة لمواجهة تحديات مستقبلية وشيكة، مثل الذكاء الاصطناعي، والتحول الرقمي، وأتمتة الوظائف، والاقتصادات الخضراء والزرقاء والبرتقالية، التي تبشر بعالم جديد يختلف كلياً عن نظم العمل التقليدية.

يستخدم النقاش في المؤتمرات والمنصات الدولية حول مفهوم «الانتقال العادل»، الذي يضمن ألا يكون العمال هم ضحايا هذه التحولات، بل شركاء فيها، ويجري الحديث عن تطوير المهارات، والتحول في أنماط العمل، وتوسيع مظلة الحماية الاجتماعية، وتوفير الأمن الوظيفي للعاملين في القطاعات المهددة بالانقراض.

لا يبدو أن هناك أدنى اهتمام بهذه القضايا في السياق البحريني، فلا الاتحادات العمالية تطرح هذه التحديات بجدية، ولا الحكومة تضعها ضمن أجندتها الوطنية، ولا حتى السلطة التشريعية تفتح حوارات حول مستقبل العمل والتحويلات القادمة. هذا الغياب يُعمّق من هشاشة وضع العامل البحريني، ويجعله عرضة للتهديدات القادمة دون حماية أو استعداد.

## بيان الاول من مايو

التقدمي بمناسبة عيد العمال العالمي:  
النهوض بواقع العمال والكادحين  
وحقوق المتقاعدين وحقوق العمل.. أولوية وطنية

هذا التراجع الذي بتنا نشهده في كل محطة من محطات العمل السياسي وكان آخرها تمرير ميزانية عام 2024 - 2025، حيث جاءت هذه الميزانية خالية من أية إضافات أو منجزات تحقق للطبقة العاملة أية مكتسبات، أو تضيف أية انجازات للفقراء والمعدمين، بل ويمكننا القول إن هذه الميزانية خلت من رصد موازنة انقاذ لانتشال المواطنين من الأزمات التي أُلئت بهم، مثل البطالة والإسكان، أزمة تنامي الفقر وتراجع مستوى الدخل، فجاءت هذه الميزانية مكررة لسابقتها لكي تعيد إنتاج ذات الأزمات، ولكن بوتيرة أشد من سابقتها أخذاً بالحسبان الزيادة السكانية وزيادة احتكار الأراضي والمساحات المسطحة، زيادة فواتير الكهرباء والطاقة وتوغل رأس المال الخاص في القطاعات العامة ولاسيما تلك الخدمية مثل الصحة والتعليم والمحروقات.

وأكد التقدمي على أن هذه المناسبة الأمامية فرصة للتأكيد أولاً على أهمية دور ومكانة عمال البحرين باعتبارهم زراع الأمل وصناع حياة كريمة، وبناة الحاضر والمستقبل، والتأكيد ثانياً على أن أي معالجات لتحديات اقتصادية، أو لتحقيق التوازن المالي لا يجب أن يتم بانتقاص حقوق ومكتسبات العمال والكادحين، فأى معالجات أو حلول لمشاكلنا الاقتصادية، والخروج من حلقة الدين العام والمديونية لا ينبغي أن يكون على حساب المواطنين من عمال وكادحين ومتقاعدين وأصحاب الدخول المتدنية.

حذر المنبر التقدمي من النهج الاقتصادي المتبع الذي يعزز هيمنة الطبقة البرجوازية حيث يتم تهميش الفئات الفقيرة والمسحوقة، ويعيد تموضع سطوة أرباب العمل لتصبح سلطة مطلقة تقرر مصير الغالبية الفقيرة من العمال والموظفين دون محاسبة، من خلال سعي الدولة لتمتين المركز القانوني لهم في علاقة العمل، إن شعبنا بات يستشعر استلاب السلطة لحق العمال في القرارات المعنية بهم، أو حتى المشاركة في صنع السياسة والقرارات ذات الصلة بالعمل وبكل ما يتصل بالسياسة المعنية بشؤونهم.

جاء ذلك في البيان الذي أصدره التقدمي بمناسبة الأول من مايو عيد العمال العالمي الذي هنا فيه شغيلة البحرين، وشغيلة كل دول العالم بهذه المناسبة، مؤكداً على موقفه الثابت حيال مطالب وحقوق العمال والكادحين، مستنهضاً كل قوى المجتمع ممثلة في النقابات وكافة المؤسسات السياسية والمدنية، وجميع القوى الحية والفاعلة للدفاع عن المكاسب المعيشية التي تحققت بعد مسيرة طويلة من التضحيات، دفع فيها مناضلو الحركة العمالية والقوى الوطنية أثماناً باهظة، بتنا اليوم أكثر قلقاً ونحن نشهد أن هذه المكتسبات عرضة للزوال.

وقال البيان: «نحن في المنبر التقدمي، بما نحمله من قيم وأهداف تمت ترجمتها في برنامجنا السياسي، معنيون بأن نكسر الصمت الذي طغى على عمل التنظيمات والحركات المعنية بالشأن العمالي، رغم

## «التقدمي» يؤبن المناضلين مهدي إسماعيل وحسين الخباز



عادل المتروك



جانب من الحضور

**المتروك: قرية الفقيد، باربار، شكّلت تجربة مهمة في العمل الجماهيري لتيار جبهة التحرير**

**ماهر إسماعيل: كان والدي وفياً مخلصاً لما يؤمن به من مبادئ وظلّ متمسكاً بروحه الوطنية التقدمية**

عمل أو مهمة يراد له إنجازها، كان نشطاً في الخلايا العمالية حيث انتظم في نقابة عمال ألبا وتميّز بالحفاظ على أرسيف واسع ونادر من الوثائق والمستندات التي أصدرتها جتوب أو تلك التي تخص الحركة العمالية، وبات هذا الأرسيف، لاحقاً، مصدراً لمن أراد العودة لتاريخ الحركة العمالية وخصوصاً تلك المرتبطة بنضالات «جتوب» في ذلك الحقل. وعن الفقيد مهدي إسماعيل قال المتروك إنه حظي برعاية فكرية ومتابعة من شقيقه الرفيق حسن إسماعيل، ونشأ في بيئة من الأهل والأصدقاء غرست فيه الوعي وهيئته للانخراط في «أشدب» حيث كان عنصراً نشطاً فيه، ليس فقط في العمل السياسي وإنما أيضاً في العمل الجماهيري، نشط في نادي القرية، كان دائم الحضور في الفعاليات، كما حرص أن يتواجد باستمرار في أنشطة التقدمي، وهو واحد من المؤسسين في نقابة البريد حيث كان يعمل، برز فيها وحرص على أن يترجم المبادئ والقيم التي تعزز دور الطبقة العاملة وفقاً للرؤى التي يتبناها المنبر التقدمي.



مهدي إسماعيل

والتزامه الثابت بالتعليمات والتوجيهات الحزبية، رغم ما مرّ به من ضيق الحال واضطراره مغادرة البحرين للعمل في المملكة العربية السعودية إلا أنه ظل على تواصل مع رفاقه، مبدياً استعداداته الدائم لأي



حسّين مهدي الخباز

القرية انخرط في ذلك المسار، و«كان الفقيدان من عصارة تلك الفترة الذهبية في تاريخ «جتوب». وقال المتروك: «انتظم الرفيق حسين في خلايا الجبهة، عرف عنه إخلاصه الشديد

أقام المنبر التقدمي حفل تأبين للرفيقين الراحلين مهدي إسماعيل وحسين الخباز، بحضور رفاق وأصدقاء وعوائل الفقيد العزیزین، واشتمل على عدة كلمات.

### المتروك: الفقيدان نتاج

مرحلة ذهبية في تاريخ «جتوب»

الأمين العام للمنبر التقدمي الرفيق عادل المتروك قال في كلمته: «إن قرية باربار التي ينتمي إليها الفقيدان «واحدة من القرى التي ازدهر فيها عشق اليسار، بفضل رفاق أشداء سَخروا حياتهم في سبيل نشر ذلك الفكر، تمكنوا من صقل كوادر انتظمت في صفوف جبهة التحرير الوطني واتحاد الشباب الديمقراطي، ما شكّل مساراً نوعياً للقرى الواقعة على شارع البديع، كان أثرهم بيّناً ليس فقط في قريتهم، إنما أيضاً في مجتمع القرى المجاورة لهم، مشيراً إلى أن تلك تجربة فريدة على صعيد العمل الجماهيري الناجع، لم تحظ بعد بالدراسة التي تستحقها حيث أن جيلاً كاملاً من أبناء





خديجة الناصر: ما كان لي أن أكون قادرة على الكتابة والقراءة لولا زوجي الداعم لي للتعلم

علي منصور: كان مهدي مؤمناً بأن كرامة المرأة ورفعة الأسرة هي ركيزة المجتمع المتماسك



علي منصور



مرام فلاح



ماهر إسماعيل

للمرأة - الزوجة - الأسرة، يعلم جيداً بأن كرامة المرأة ورفعة الأسرة في ركيزة المجتمع المتماسك».

وأضاف: «لقد عرفناه عن قرب، فعرفنا فيه الإنسان النبيل، الذي لم يكن يتعامل مع من حوله بموجب صلة قرابة فقط، بل بروح البيت الواحد، كان بيته بيتنا، وهمه همنا، ولم يشعر أحد يوماً أنه بعيد عن قلبه أو اهتمامه».

كان رجل علاقات طيبة، لا يفرق بين قريب وبعيد، تواصله ممتد، واتصالاته دائمة، ووجهه لا تغيب عنه البسمة، بسيطاً بطبعه، على سجيته دائماً، لا يتصنع ولا يتكلف، يدخل القلوب دون استئذان، ويترك أثراً طيباً دون أن يسعى لذلك، كان رجلاً فطرياً في نبله، صادقاً في عواطفه، عفواً في محبته، وهذه من أعظم صفاته».

مخاطباً عائلة الفقيد قال منصور: «لا بد لي أن أقف هنا قليلاً، ومن خلال قربي بأفراد عائلة المرحوم، لأشيد بصبرهم، وأشد من أزرهم، وأخصهم بالذكر، بدءاً من زهرة العطاء والصبر أم ماهر، والخلفاء لخير سلف، ماهر ومنال ومازن، فقد كنتم جميعاً كل شيء له، وها أنتم تتحملون المسؤولية بعده، لتكملون مسيرة طيبة كريمة وأصيلية، وكلنا فخر بكم ومنكم من أكمل وسيكمل مسيرته الجامعية، كما أراد وأردتم».

الكتابة والقراءة لولا زوجي رحمة الله عليه، فكان هو السند الأول الداعم لي نحو التعلم والمعرفة، فساعدني ذلك في قراءة سلامة موسى وجورج حنا ونوال السعداوي الذين كان المرحوم حريصاً على قراءتي لهم، إلى جانب الدور الكبير الذي قامت به جمعية فتاة الريف».

وختمت السيدة خديجة بالقول: «على الرغم من اعتلال صحة المرحوم حسين في السنوات القليلة الماضية وعدم قدرته على الكلام بوضوح، إلا أنه ظل مفعماً بروحه الوطنية الصادقة، محاطاً برفقائه ومحبيه من القرية ومن خارجها، متواصلاً معهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي».

علي منصور:

عرفنا في مهدي الإنسان النبيل

ونبابة عن أصدقاء الفقيد مهدي إسماعيل ألقى الأستاذ علي منصور كلمة قال فيها إن المرحوم مهدي كان «من الداعمين والمخلصين لقضايا المرأة وحقوقها».

آمن بأن الأسرة الكريمة أساس المجتمع السليم، فقد كان المخلص الأول لأسرته وكأنه بصمت يثشر هذا الفكر بين من حوله، وأنا شخصياً من المتأثرين بصمته وتشجيعه على الإنصاف والرحمة في احترامه وإخلاصه

خديجة الناصر: شجعني

على قراءة سلامة موسى وجورج حنا

وتضمن الحفل كلمة لأرملة الفقيد الرفيق حسين أحمد مهدي، خديجة عبدالحسين الناصر، ألقته بالنيابة عنها الشابة مرام فلاح، حيث سردت زوجة فقيدنا العزيز جوانب من حياتها معه، قائلة: «اقتربت بالمرحوم أبي علي في ظل ظروف صعبة وحياة مختلفة عما هي عليه في هذا الوقت، ولأنه كان مثقفاً وواعياً ووطنياً يؤمن بحرية المرأة متعلمة، مثقفة، وأن تكون واعية بما يدور في المجتمع، ولأن والدي رحمة الله عليه كان يرى دخول المدرسة النظامية حراماً، فلم يحالفني حظ ذلك الزمان - شأني، شأن بقية بنات القرية - في التعلم في المدرسة، لكنني حفظت القرآن الكريم، وبارادة المرحوم وإصراره على أن أكون قادرة على القراءة والكتابة، أدخلني مدرسة محو الأمية، وأسجل هنا اعتزازي وتقديري للسيدتين العزيزتين نجاة الموسوي (أم سلام)، وأختها حياة (أم وليد) اللتين كان لهما الفضل في هذه تعليمي مبادئ القراءة والكتابة في هذه المدرسة تحت رعاية جمعية فتاة الريف التي قامت بدور كبير في محو أمية العديد من النساء في القرى، وأنا واحدة منهن، علماً بأن هذه المدرسة».

وأضافت: «وما كان لي أن أكون قادرة على

ماهر إسماعيل: امتاز

والدنا بالهدوء والأخلاق الرفيعة

وألقى ماهر إسماعيل نجل الفقيد مهدي، كلمة العائلة، قال فيها: «كان رفيقكم مهدي وفيماً مخلصاً لما يؤمن به من مبادئ، وظل متمسكاً بروحه الوطنية والتقدمية، ولعل من أبرز صفاته التي أكسبته هذه المحبة ما كان يمتاز به من هدوء متزن وأخلاق رفيعة انعكست علينا نحن في أسرته الصغيرة، وفي أوساط الناس في قريته، فكان لنا سنداً، أماناً، معلماً، ملهماً، ومصدراً للحب والحنان، وكان مثلاً للعطاء والتفاني، كنت نور بيتنا، ودفع قلوبنا، ومرشد دربنا، لم يبخل علينا يوماً بحبه، ولم يتردد في دعمنا، كان الأب الحنون، والصديق الوفي، والمعلم الحكيم. تعلمنا منه الكثير، أهمها الصبر، الحنان، الوفاء والطيبة».

ومخاطباً والده قال ماهر إسماعيل: «رحلت عنا جسداً، لكن روحك باقية فينا، في كل ذكرى، في كل موقف، في كل نصيحة زرعتها في قلوبنا».

سنذكرك دائماً بابتسامتك الطيبة، بكلماتك التي كانت بلسماً لجراحنا، وبتضحياتك التي لن ننساها ما حيينا، ستبقى في قلوبنا دائماً وأبداً».

## رحيل الأستاذ المربي ابراهيم الجمري... المعلم الذي تجاوز جدران الصف وقلبه لم يغادر باربار



حسين الشويخ

### قرية باربار تشيع ابنها البار

لهذه الصداقة الحميمة إلى آخر لحظة من حياته. صحيح أن الموت هو نهاية رحلتنا في الحياة، ولا بد أنه ملاقينا يوماً ما، إن عاجلاً أم آجلاً، ولكن في جميع الأحوال فالموت مثل الإرهاب، يتسلل إلينا خلسة ويختطف منا أعضائنا واحداً بعد الآخر ودون أي إنذار. ما كنت أظن يا (ابو خليل) بأني سأرصد سدود الذكريات، لأرشف منها ما أبلل به جفاف الفراق ولوعته، وأفنش بين ركامها عن نبرة صوتك، ورنين ضحكك، ومشاركة أملك وألمك، واستعادة فوائذك ودرك، ولا أشغل القارئ بما بينك وبينني، لأطلع على ما ينفعه وينفعك، لعل دعوة يبتها من قلبه تسعدك في قبرك.. أيها الصديق.

فلا أدري من أين أبدأ، أذكر ما تعرضت له من بلاء، أم شهادتك ووقوفك مع أصحابك وزملائك، وهبتك لمساعدتهم والتخفيف عنهم، أم برك بوالديك، أم أبدأ بعطفك على الصغار وعنايتك بهم وادخال السرور عليهم، أم بساطتك وعفويتك، أو بما عرف عنك من وقوفك مع أصحابك ومن هم حولك، وتفاعلك معهم، واجتهادك لرفع ما يقع عليهم، وتفقدك لأحوالهم ووصلك لهم.

تلتقيه فتشعر بجاذبية نحوه.. تحاول أن تبقيه معك كي تستفيد من مخزونه الثقافي وتجاربه الغزيرة فلا يبخل عليك بها ثم يغيب عنك مدداً طويلة ثم تراه أمامك فجأة.. تسعى لمعرفة ما يدور في ذهنه من أحلام فيمنحك فرصة للتعرف عليها. رجل صريح كحد السيف، إنسان ساحر في حديثه ونتاجه الفكري كسحر بلاده الطيبة.

عزأؤنا لأولاده وإخوانه وأسرته وأهله وأصدقائه وزملائه ومحبيه وكل من له صلة بالفقيد.

بقلوب توشحت بمعطف الحزن والالم تلقينا نبأ وفاة الأستاذ القدير إبراهيم الجمري (ابو خليل) الذي توفي يوم الخميس 24 أبريل في قرية باربار بحزن بالغ عم القلوب. رحل بعد صراع طويل مع المرض، إن خاض معركته الصحية بصبر واعتكاف، محاطاً بعائلته وأصدقائه.

تعجز الكلمات أن تعبر عن الفقيد الذي كان مثلاً للتقاني والإخلاص والعطاء ونموذجاً للانضباط والاجتهاد والرقى في التعامل والكفاءة المهنية في العمل ورمزاً وطنياً اتسم بالإخلاص والجدية ومثلاً يحتذى به في الاخلاق والتواضع وحسن التعامل مع الآخرين، وهو الصديق الصدوق الوفي الطاهر النقي المثابر والمخلص في عمله، وما مشاعره الطيبة تجاه جميع زملائه، إلا دليل على أصالته، وبهذه الخصال حفر لنفسه طريقاً ممهداً في الصخر، وأثبت وجوده بين الكبار لحبه للعلم والاستفادة من زملائه ذوي الخبرة، وشغفه لفن التعليم، وتفوقه في تخصصه الرياضيات وحسن خلقه ومعاملته الطيبة مع كل الناس من مجتمعه بمختلف أطيافهم وخدمتهم، رجل عنيد مثابر نبت عوده في قرية باربار، ويعتز ويفتخر بهذه القرية المعهودة، فقد أعطى مثلاً صادقاً للرجل البسيط النزاهة في عمله وخدمة أبناء مجتمعه دون تمييز.

وبرحيله تكون وزارة التربية قد فقدت أحد أعمدتها التعليمية المؤهلة التي خلدت أروع المحطات الخالدة وتركت سجلاً ناصعاً في تاريخ الوزارة.

ليس هناك ما هو أشد إيلاماً على النفس من أن تتلقى نبأ وفاة صديق عزيز عليك، خاصة إذا كنت قد عاشرت هذا الصديق منذ الطفولة، وبقي وفيّاً صادقاً



غيب الموت واحداً من القامات الوطنية والتربوية وواحداً من رجالها الأفاضل، الأستاذ والمربي والمناضل في صفوف جبهة التحرير الوطني ومن ثم في المنبر التقدمي الذي كان أحد مؤسسيه الرفيق إبراهيم الجمري، الذي وافاه الأجل المحتوم بعد رحلة طويلة ومريرة مع المرض استمرت لسنوات، خاض خلالها صراعاً شجاعاً بصبر لا يلين، لكن الرجل الشجاع لا بد وأن يستريح.

ينتمي الجمري إلى جيل من المعلمين الذين شكلوا ضمير التعليم الوطني منذ منتصف السبعينيات، حيث وهب حياته للتدريس والتربية في مدارس وزارة التربية والتعليم، واضعاً نصب عينيه بناء الإنسان قبل تلقين الدرس، ومؤمناً برسالة التعليم كوسيلة للتغيير والتنوير.

الجمري، ابن باربار البار، والمعلم الذي تجاوز دوره في الصفوف الدراسية ليصبح مربياً للنفس والعقول في كل ركن من أركان قريته، ترك بصمة لا تُنسى في المجال التربوي والاجتماعي، وكانت سماته الشخصية المزوجة بالهبة واللفظ والصرامة الأبوية كفيلة بأن تفرض احترام الجميع، كباراً وصغاراً، حاملاً شخصية المعلم إلى خارج جدران المدرسة، فكان أباً ومربياً وناصحاً لأبناء قريته، يتقاسم معهم مناسباتهم، ويصل أرحامه، ويوصي دائماً بتماسك النسيج الاجتماعي للقرية.

وكان الراحل من الكوادر النشطة في جبهة التحرير الوطني، وشارك في نشر الفكر التقدمي ومناهضة الرجعية، وكان له دور بارز في النشاط السياسي والاجتماعي داخل باربار والقرى المجاورة. ودفع ثمن انتمائه النضالي حين اعتقل في حملة القمع التي استهدفت الجبهة في منتصف الثمانينيات، ليقتضي خمس سنوات من عمره خلف القضبان حتى أوائل التسعينيات، ثم عاد إلى مهنته وتلاميذه بروح متقدة وعنفوان هادر.

رحل الأستاذ إبراهيم، ولكن ذكراه ستظل عالقة في وجدان كل من عرفه، تعلم على يديه، أو سمع عن سعة صدره وشجاعته وتواضعه. لقد أعطى دون مقابل، وكان رمزاً للمثقف الملتزم والمعلم الحقيقي الذي لا يغيب حتى برحيله.





كاريكاتير  
خالد الهاشمي

نقلًا عن حساب  
الفنان على  
«انستجرام»



## نقابة عمال أسري تعقد جمعيتها العمومية الاعتيادية وتناقش أبرز التحديات

عقدت نقابة عمال أسري جمعيتها العمومية الاعتيادية الثالثة للدورة السابعة 2022 - 2025، في جو من الحماس والتطلع لما سيتم نقاشه من قضايا ومواضيع في الجمعية العمومية.

وقدم مجلس إدارة النقابة خلال الاجتماع التقرير الأدبي والمالي، الذي يشرح أهم القضايا والبرامج التي عمل عليها مجلس إدارة النقابة خلال العام الماضي، ورؤية المجلس للقضايا المتبقية وأهمية حلها. وبعد نقاش التقرير الأدبي وما ورد فيه، تم اعتماده بالإجماع، كما تم مناقشة التقرير المالي ومختلف المصروفات. وبعد النقاش والرد على استفسارات الأعضاء، تم اعتماد التقرير المالي بالإجماع كذلك.

ثم فتح المجال للترشح للمكتب الانتخابي الذي سيدير انتخاب مجلس إدارة جديد للنقابة، حيث تقدّم سبعة من أعضاء الجمعية العمومية.

وفي الختام، قدّم أعضاء مجلس إدارة النقابة استقالتهم للجمعية العمومية وسألهم براءة الذمة، ثم تم التصويت بالإجماع على تفويض مجلس إدارة النقابة المستقبل بتسيير الأعمال لحين انتخاب مجلس إدارة جديد للنقابة.

## النقابات العمالية حول العالم تحتفل باليوم العالمي للعمال



وتحول إلى عطلة رسمية في العديد من الدول. يشكل عيد العمال مناسبة عالمية لتسليط الضوء على إنجازات الطبقة العاملة، وتقييم أوضاع العمال والتحديات التي تواجههم، لا سيما في ظل ارتفاع تكاليف المعيشة، وتصاعد أنماط العمل غير المستقر، وتنامي الحاجة لإدماج فئات جديدة في سوق العمل كالنساء والشباب وذوي الإعاقة.

كما يُعتبر هذا اليوم منصة مهمة للنقابات العمالية لمراجعة مكتسباتها، وتحديد أولوياتها المستقبلية، والدفع نحو تعزيز حقوق العمال، ومأسسة علاقات العمل وفقاً لمبادئ الإنصاف والكرامة.

وفي خضم هذه الاحتفالات، لم تغب معاناة العمال الفلسطينيين عن مشهد التضامن الدولي، حيث تواصل النقابات العمالية حول العالم التعبير عن وقوفها مع العمال الفلسطينيين الذين يواجهون ظروفًا قاهرة تحت الاحتلال، تتمثل في القيود على حرية التنقل، وانعدام الأمن الوظيفي، وغياب الحد الأدنى من الحماية الاجتماعية. وتؤكد الحركة النقابية الدولية على أن النضال من أجل العدالة لا يكتمل دون دعم حقوق العمال في فلسطين، والدفع نحو إنهاء الاحتلال وبناء مستقبل قائم على الكرامة والعمل اللائق لكل الشعوب.

تحتفل النقابات العمالية في مختلف أنحاء العالم، في الأول من مايو، باليوم العالمي للعمال، والذي يُعد مناسبة رمزية هامة لتكريم نضالات الطبقة العاملة وتأكيد دورها المحوري في تحريك عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وشهدت العواصم والمدن الكبرى مسيرات وتجمعات عمالية سلمية، رُفعت خلالها الشعارات المطالبة بتحسين ظروف العمل، وضمان الأجور العادلة، وتوسيع الحماية الاجتماعية، وتعزيز الحوار الاجتماعي بين العمال وأصحاب العمل والحكومات. كما نظمت العديد من النقابات فعاليات تثقيفية وتضامنية أكدت على وحدة الحركة العمالية في مواجهة التحديات المعاصرة، خصوصًا في ظل استمرار تداعيات التحولات الرقمية والتغيرات المناخية وأزمات سوق العمل بعد جائحة كوفيد-19.

تعود جذور الاحتفال بعيد العمال إلى أواخر القرن التاسع عشر، حيث شهدت مدينة شيكاغو الأمريكية عام 1886 احتجاجات ضخمة للمطالبة بتحديد ساعات العمل اليومية بثمان ساعات، وهو ما أدى لاحقًا إلى موجة من الإضرابات العمالية والاشتباكات، عُرفت بـ«أحداث هايماركت». ومنذ ذلك الحين، اعتمدت الحركة العمالية الأول من مايو يومًا لتخليد كفاح العمال حول العالم،

# عيد العمال العالمي... وحقوق المواطنين



فاضل الحليبي

يأتي عيد العمال العالمي الأول من أيار/ مايو هذا العام والأوضاع المعيشية في تدهور مستمر، ليس للعمال والكادحين فقط بل لسائر المواطنين أصحاب الدخل المحدود، كنتاج السياسات الخاطئة المتبعة منذ سنوات حيث تسير الحكومة على النهج النيولبرالي الذي لا وجود للعدالة الاجتماعية والمساواة في قاموسه، نهج مدمر يخلق الطبقة في المجتمع، ويزيد الفقراء فقراً ويوسع بين فئات الشعب، وتزداد آفات البطالة في أوساط المواطنين ليس الشباب منهم فقط بل أصحاب أسر مسؤولين عن إعالة عوائل كثيرة في المجتمع (قوائم المحتاجين في تزايد لدى الجمعيات الخيرية وغيرها). الرواتب المتدنية لا تكفي، ولا معاش المتقاعد يغطي المصاريف الضرورية والبسيطة، واقع مرير يعيشه المواطنون، وسوف يزداد سوءاً عندما تتوجه الدولة نحو رفع الدعم عن الكهرباء والماء والطاقة (البترول والغاز) ورفع الرسوم الحكومية وزيادة الضرائب، والتوجه نحو الخصخصة في القطاع العام سيفقد الكثيرين من المواطنين وظائفهم أو تخفض رواتبهم. نحن نعيش في بلاد غير منتج أو صناعي، يشكل النفط والغاز ٨٪ من الدخل الوطني، وسعر البرميل يعتمد على السوق، ومقارنة بدول مجلس التعاون الخليجي، فإن البحرين الأقل إنتاجاً، ولازال التنقيب عن اكتشافات جديدة للطاقة مستمراً، نسمع ضجيجاً ولا نرى طحيناً.



من احتفالات التقدمي بالأول من مايو

الشركات الفاشلة والتي تقدر خسائرها السنوية بملايين الدنانير. ويمكن العودة إلى تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية التي تصدر سنوياً لمعرفة حجم الفساد في الوزارات والهيئات الحكومية، وعندما يتم التصدي لآفة الفساد يمكن أن يتعافى الجسد من المرض، ويحفظ المال العام ويصان، بعدها لن تحتاج إلى قروض مالية لترفع سنوياً الدين العام، والفوائد المالية المترتبة عليه والمقدرة بملايين الدنانير، الشفافية مطلوبة في

لزيادة الدين العام إلى 22.5 مليار دينار مشرفاً، ذلك أن أولى أولوياتهم كممثلين للشعب هي الدفاع عن حقوقه والعمل على تحقيق مطالبه المشروعة، ما يتطلب الرفض القاطع والحازم للنهج النيولبرالي الذي أصبح يحكم عمل الحكومة في تنفيذ أجندتها الداخلية. إن تزايد الدين العام يجب أن تتحمل مسؤوليته الحكومة أولاً وقبل كل شيء من خلال التصدي للفساد والفاستدين وسارقي المال العام في الحكومة، وثانياً بعدم دعم

أعمال المجلس في فجر ذلك اليوم، كانت الحكومة في عجلة من أمرها تريد تمرير الميزانية بشكل سريع، بعد تأخير ثلاثة أشهر، وإذ يفترض عرضها على اللجنة المالية من شهر أكتوبر 2024، يكون التأخير أكثر من خمسة أشهر، وهي ميزانية تنتقص أهم حق من حقوق المواطنين، وهو إعادة الزيادة السنوية 3٪ للمتقاعدين، وهو حق مكتسب تم إلغاؤه منذ أكثر من أربعة أعوام، وكان موقف رفاقنا في «كتلة تقدم» الموحد في رفض قرض 4.5 مليار دينار

كانت البحرين المركز المالي الأهم في المنطقة، حيث استفادت منه البلاد في منتصف السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، بعد نشوب الحرب الأهلية في لبنان عام 1975، وانتقال معظم بنوك الأفشور والبنوك التجارية إلى البحرين، ولم يعد الوضع اليوم مثل السابق، حيث انتقل العديد منها إلى دول المنطقة وهي تقوم بنفس الدور وأكثر، كما أن السياحة ليست بالشكل المطلوب لتكون مصدر دخل آخر. صحيح بأن الإنسان البحريني قادر على الإبداع والعطاء في العديد من الميادين والمجالات إذا توفرت له الفرص والإمكانيات فإنه يحقق نتائج إيجابية، وهناك شواهد عديدة على ذلك، ولكن المعوقات تقف عائقاً أمام طموحات الشباب وتطلعاتهم ومستقبلهم، وكمثال على ذلك، يقال إن عدد الأطباء البحرينيين العاملين في بريطانيا حالياً حوالي ثلاثمائة طبيب وطبيبة في تخصصات مختلفة، أما كان الأجدر بأن يعملوا في وطنه، ولكن من المؤسف الوطن لا يتسع لأبنائه، حيث فضلوا عليهم الأجانب. الميزانية الممررة نيابياً انتقاص من حقوق الناس

بلغ الدين العام للبلاد 22.5 مليار دينار، بعد أن كان 18 مليار دينار بموافقة أعضاء مجلس النواب على 4.5 مليار دينار في جلسة مجلس النواب يوم الثلاثاء الموافق 25 مارس 2025، التي صوّت فيها النواب لصالح ميزانية 2025/2026، محققين للحكومة رغبتها.

سائر التقدميين ومعهام الأصدقاء وغيرهم من المواطنين كانوا يمتنون النفس بأن يكون موقف رفاقنا في «كتلة تقدم» موحد في رفض الميزانية التي طرحت على جدول





فاسم الحلال

## أول تشكيل أممي للطبقة العاملة

الفئات التي تتعرض للاستغلال والتمييز السياسي، لأن أغلبها تقترب مصالحها مع مصالح الطبقة العاملة. تعرض ماركس لهذه القضية، حيث قال إن الفئات في الطبقة الوسطى أيضاً لها دور نشالي في المجتمع وهي قد تكون سندا لنضالنا الطبقي، فحينما تتعرض الطبقة الوسطى للابتزاز والاضطهاد من الطبقات الأرفع بالحثم ترتقي في أحضان الطبقة الكادحة، حيث تشعر بنفس الاضطهاد والقسوة التي تعاني منها الطبقة العاملة، فإن الانتصار الحاسم لقوى الطبقة العاملة ليس شرطاً في تحالف مع الفلاحين بل مع قطاعات الشعب العامل غير البروليتاري.

هذا التحالف قد يتعرض أحياناً للفشل، ومن هنا يتطلب الأمر تطهيره من الرجعية المنساقه وراء مخططات عدائية للطبقة العاملة، حيث التنازعات السياسية والتذبذبات من هذه الفئات الكثيرة المشاكل، وتصبح مثاراً للمساءلة، ومن ثم تثير مناقشات في الاجتماعات حول التركيبة الصحيحة لهذه الفئات لبناء هيكلي واضحة، حيث يحاول العمال الوطنيون المخلصون وغيرهم من القوى اليسارية تحديد مكان الخطأ لكي تسير التجمعات العمالية والقوى الوطنية لكيفية المشاركة في فعالياتاتها في ظل الهجمات والمباغطات الشرسة.

يكتسب النقاش والحوار المثمر في تجمعاتنا أهمية فكرية تنير دربنا التاريخي للطبقة العاملة ولفئات الطبقة الوسطى، وأننا مدركون لقدرة استيعاب ما نصبو إليه من خدمة لمجتمعنا، وبالطبع سيتلمسون الاستقرار لأنهم يميلون بطبيعة الحال للتغيير الإيجابي، وفي نضالنا الدؤوب لنا وضعية متفردة في خلق طبقة عاملة تحرص على رص صفوفها بنهج متطور يواكب المستجدات في سبيل تحدي العواصف الآتية وتركز على الواقع العملي للمجتمع بقواه الوطنية والعمالية.

عندما كانت الرأسمالية تشد وتزدهر ولدت الأممية الأولى، في بداية القرن التاسع عشر عندما كانت الحركة العمالية والديمقراطية في أوج نهضتها 1848 - 1871، ففي العام 1864 تشكلت أول منظمة عالمية للجماهير الكادحة (البروليتاريا) والتي أسسها كارل ماركس وفردريك إنجلز مؤسسي الاشتراكية العلمية وقائديها، حيث انتشرت الحركة العمالية عالمياً وانتشرت معها حركات غير بروليتاريا مثل (البوردونية - باكونين - الترودونية - الليبرالية) وحركات منحرفة يمينية أخرى، وقد حظيت الحركة العمالية منذ بداية تشكيلها بانتشار واسع، كما أصبحت تلك مرحلة هامة لتصاعد النشاط النضالي من أجل الدفاع عن الشعوب المضطهدة وتوسيع بناء أجزائها لتتصعيد دورها الريادي الأممي، حيث اهتمت الحركة العمالية آنذاك لمساندة الإضرابات في لندن وفرنسا.

وقد تأسست الأممية الأولى بعد اجتماع مجموعة من العمال الانجليز والفرنسيين في قاعة سانت مارتن في لندن، وذلك احتجاجاً على قمع الثورة البولونية عام 1863، حيث اشترك في هذا الاجتماع كارل ماركس وعين عضواً في المجلس العام لجمعية الشغيلة العمالية فالتف حوله خير أعضاء المجلس من العمال ووضع حداً لتقرب البرجوازية لكي لا يسهل عليهم قيادة الحركة.

لقد قاد ماركس وإنجلز الحركة العمالية بخطى ثابتة ونجاح، ورغم أنها كانت في البداية إلا أنها تعاضمت بوتائر سريعة، حيث ذاع صيتها عالمياً واستساغها كادحو العالم ومن ثم أحزاب حركات التحرر الوطني التقدمية والاشتراكية ودعاة السلم والعدالة الاجتماعية التي تناضل هي أيضاً سعياً للدفاع عن الطبقة العاملة، وعزّز كل هذا مكانة هذه الأفكار وساعد في مزيد من انتشارها.

على البروليتاريا حينما تخوض معركة التحرر الاجتماعي أن تدافع عن مصالح كل



من احتفالات التقدمي بالأول من مايو

على الشركات والمؤسسات. الواقع العمالي اليوم واقعٌ مزري، أصبحت المصالح الشخصية هي التي تسيّره، وبعض من يتصدرون قيادة العمال والعمل النقابي، أصبحوا جزءاً من «السستم» الرسمي، لا ينتصرون لحقوق ومطالب العمال والنقابات عندما تدق الساعة، والشواهد عديدة، يجرجرون النقابيين إلى مراكز الشرطة والمحاكم بدعاوى كيدية من قبل بعض الرؤساء التنفيذيين لشركات معروفة في البلاد ولا تقف مع الاتحادات النقابية معهم، بل تقف مع تلك الشركات وتعمل على خلق بدائل لنقاباتهم العمالية القائمة، حدث في أكثر من شركة، وكان تضحيات الرّواد الأوائل من النقابيين ذهبت هباءً منثوراً.

بالرغم من هذا الواقع الصعب على النقابيين المخلصين للطبقة العاملة البحرينية وسائر الكادحين توحيد صفوفهم وتصحيح ذلك المسار الخطير في الحركة النقابية، فالوحدة العمالية يجب أن تكون الهدف الأسمى والأبلغ لتحقيق المطالب النقابية المشروعة.

برنامج الحكومة وإلى أين تسير بالبلاد والعباد.

عودة إلى موضوعنا عن عيد العمال العالمي الأول من مايو، الذي أصبح عطلة رسمية في البلاد والذي يحتفل به علناً من قطاعات واسعة في المجتمع، بعد أن كان يُحتفل به بالسّر في الماضي، فقد تأسست النقابات العمالية والمهنية في عام 2002 المدافعة عن حقوق ومطالب العمال والكادحين، وجاءت هذه المكاسب بفضل تضحيات الرواد الأوائل من النقابيين الذين قضوا ريعان شبابهم في السجون والمخافي وتم فصل العديد منهم من العمل، وكثيرون مهم هم اليوم بدون تأمين اجتماعي، وحُرِمَ آخرون من الحصول على وحدات سكنية من وزارة الإسكان، وغيرها من الممارسات التعسفية، هؤلاء هم من كانوا يرددون في التظاهرات والاحتجاجات والاعتصامات العمالية في عام 1972 شعارهم الأثير «الوحدة الوحدة ياعمال» بصدق وإخلاص، لم تدخل نفوسهم العصبية العرقية والمذهبية والطائفية البغيضة، كانوا معاً في وحدة عمالية صلبة وقوية يفرضون المطالب العمالية

## المناضل أحمد حميدان.. وحدة النظرية والممارسة



في صباح الأحد ٣٠ مارس ٢٠٢٥ والذي صادف يوم عيد الفطر المبارك، تناقلت وسائل التواصل الاجتماعي الدعوة لتشيع المناضل د. احمد الشيخ محمد علي حميدان إلى مثواه الأخير في مقبرة الحورة بالعاصمة المنامة. وهكذا شهدت المقبرة توافد العديدين من أهل وأصدقاء الفقيد ومن مختلف الأجيال وهم في حالة حزن شديد. د. احمد حميدان شخصية استثنائية من بين المناضلين. سيتناول من سيتصدون للكتابة عن شخصيته مختلف جوانب هذه الشخصية الغنية ولن يستطيعوا أن يوفوها حقها بالتأكيد. وسأحاول أن أتناول جانباً من هذه الشخصية، وهي وحدة النظرية والممارسة في شخصية المناضل والأكاديمي د. احمد حميدان.

والصراعات التي كانت تخوضها الشعوب العربية وأنظمتها الوطنية وقواها المناضلة، ضد التحالف الاستعماري والصهيوني والرجعي، فقد تحققت إنجازات كبيرة، كما شهدت هزائم فادحة أخطرها هزيمة ٥ يونيو (حزيران) 1967 وتبعاتها. ويمكن القول إنه ترتب على هذه الهزيمة عدة استحقاقات أهمها تعزيز خيار المقاومة الفلسطينية ومراجعة بنية وفكر الحركات والتنظيمات الوطنية والقومية ومنها حركة القوميين العرب.

### خيارات حميدان الفكرية والنضالية

انتمى أحمد حميدان إلى حركة القوميين العرب في الخمسينيات وهو في المرحلة الثانوية، ويُفترض أنه تدرج بسرعة في الترتيب التنظيمي. ففي العام 1961 توجه إلى القاهرة لمواصلة دراسته الجامعية. وفي ضوء تقرير قيادة التنظيم في البحرين إلى القيادة المركزية للحركة في بيروت عن وجود اختراقات لصفوف الحركة وانكشاف الكوادر القيادية لجهاز المخابرات، فقد كلفت القيادة المركزية أحمد حميدان بالرجوع إلى البحرين لمعالجة وترتيب الأوضاع التنظيمية. هنا تتضح طبيعة حميدان في المخاطرة بحياته في سبيل ما يؤمن به. في ظل تلك الأوضاع، كان مُقدراً لحميدان أن يُعتقل ويُعذب ويستشهد، ولكنه لم يتردد وقبّل المهمة الخطرة وعاد إلى البحرين. عمل حميدان مع قيادة الحركة في البحرين على معالجة الوضع المفكك بل وإصدار نشرة «صوت الشعب» وإعادة بناء التنظيم. لكن ذلك لم يوقف مسلسل الاختراق والاعتقالات بحق عناصر التنظيم. وقد جرت اعترافات خطيرة على حميدان وكان سيعتقل، لولا أنه سارع في مايو 1963 إلى المغادرة على عجل إلى الظهران بالسعودية وبترتيب مع مناضلي الحركة من

### الوعي السياسي المبكر

تفتّح وعي احمد حميدان في خمسينيات القرن الماضي على الحراك الوطني في وطنه البحرين في مقاومة الاستعمار البريطاني، وكانت الحركة الجماهيرية التي قادتها هيئة الاتحاد الوطني للتخلص من الحماية البريطانية، وكذلك في ارتباطه مع نضالات الأمة العربية وشعوبها للتخلص من الاستعمار البريطاني والفرنسي والاستعمار الاستيطاني الصهيوني لفلسطين والضال من اجل تحقيق الوحدة العربية، ومقاومة تمدد سيطرة الولايات المتحدة الأميركية على الوطن العربي، وتواطئ أنظمة عربية مع هذه القوى في مواجهة الأمة العربية وشعوبها.

وفي خضم التطورات الوطنية والعربية والدولية، في الخمسينيات والستينيات، تبلورت في مجرى مقاومة شعوب الأمة العربية حركات وتنظيمات بعضها ذات طابع وطني وأخرى ذات طابع قومي ومنها حركة القوميين العرب، التي انبثقت في خمسينيات القرن الماضي في بيروت، عاصمة الفكر العربي حينها، وانتشرت في المشرق العربي ومنه منطقة الخليج العربي وضمناها البحرين. بالنسبة إلى أحمد حميدان، فقد انتسب وهو يافع إلى حركة القوميين العرب في البحرين، والتي خاضت النضالات الوطنية والقومية، ومن علاماتها البارزة انتفاضة مارس 1965 المجيدة، حيث دخلت في ائتلاف مع قوى وطنية مثل جبهة التحرير الوطني - البحرين للنهوض بمهام الانتفاضة. ونذكر هنا أن حركة القوميين العرب أسهمت ودعمت القضايا القومية وفي مقدمتها قضية فلسطين وكفاح الشعوب العربية من أجل الاستقلال والتحرر والوحدة، ودعمت الأنظمة الوطنية وفي مقدمتها النظام الوطني في مصر بقيادة جمال عبد الناصر في تصديها للمشاريع الاستعمارية والصهيونية والرجعية.

وفي ضوء التحولات الكبيرة التي كان يشهدها الوطن العربي



عبدالله العكري

سيظلّ المرحوم المناضل د. احمد حميدان خالداً في ذاكرتنا وحاضراً في حياتنا من خلال سيرته النضالية من اجل الوطن وخليجنا العربي وأمتة العربية



## ذاكرة



يعتبر المناضل أحمد حميدان من أهم المناضلين في حركة القوميين العرب الذين تصدّوا للضرورة التحولات السياسية والفكرية في الحركة والانتقال باستراتيجية النضال الوطني والقومي

تتبنى التغييرات الجذرية، ومنها فرع الخليج العربي للحركة.

وبالنسبة لمنطقة الخليج والجزيرة العربية فقد واكبت هذه التحولات، حيث عقد المؤتمر الأول لفروع الحركة في الخليج والجزيرة العربية في بيروت في ديسمبر 1967 وماتبعه من مؤتمرات واجتماعات في دبي وبيروت، وترتب على ذلك انضواء تنظيمات الحركة في الخليج في الحركة الثورية الشعبية في عمان والخليج العربي وتبنيها نهجاً يسارياً واشتراكياً وجذرياً للنضال مع وجود معارضة لذلك في صفوف مناضلي الحركة وفروعها وخصوصاً فرع الكويت. ورغم ذلك فقد استمرّ النضال المشترك لهذه التنظيمات ولهؤلاء المناضلين المتباينين في مقارباتهم الفكرية والنضالية.

وهنا أيضاً فإن المناضل أحمد حميدان كان في خضم هذه التحولات فكرياً ونضالياً. من بيروت انتقل إلى دبي مع رفيقه المناضل عبد الرحمن النعيمي والمناضل أحمد الربيعي ليسهموا في قيادة التنظيم الجديد والنضال الصعب في بيئة خطيرة. وكان الأخطر انتقاله مع د. أحمد الربيعي إلى عُمان حيث جرى اعتقالهما في يونيو 1970 قبيل شهر من تسلم السلطان قابوس بن سعيد آل تيمور وما جرى من تحولات كبيرة شهدتها عمان. لقد جرى سجن كل من أحمد حميدان وأحمد الربيعي في سجن كوت الجلاي الرهيب، ثم تم تسليم الربيعي إلى الكويت وحميدان إلى البحرين، حيث مكث في السجن حتى ديسمبر 1973 واطلق سراحه ضمن إجراءات الانفتاح التي رافقت إصدار الدستور وانتخاب المجلس الوطني في ديسمبر 1973.

يعرف المناضلون الذين عاصروه في السجن، دوره الإيجابي والنشط في الحوارات التي كانت تدور فيما بينهم رغم كل التجارب المحبطة وتجربة السجن المريرة في كوت الجلاي بمسقط وما مرّ به من تعذيب رهيب في مسقط ثم في البحرين. كما يدرك من يعرف حميدان تفاؤله وشجاعته في أحلك الظروف واستعداده للمراجعة ونقد الذات.

## المرحلة الأكاديمية

بعد خروجه من السجن وفي ظل الحصار والملاحقة للمعارضين وخصوصاً السجناء السياسيين السابقين، قرر حميدان أن يسافر إلى الإمارات حيث سبقه أخوه د.

البحرينيين غادر إلى بيروت، وقدم تقريراً تفصيلياً لقياده الحركة هناك.

لم يستكن حميدان، بل واصل مهامه النضالية، فكلّف بمهمة دقيقة وخطيرة في دمشق بإدارة بعض خلايا الحركة، كونه عضو شعبة في ظل عهد الانفصال وظروف العمل السري الخطرة وترتب عليه اعتقاله وسجنه لستة أشهر. بعدها انتقل إلى الكويت وعمل في مجلة «الطلیعة» لسان حال الحركة والمعارضة الكويتية والخليجية حتى 1965. انتقل بعدها إلى بيروت ليلتحق بجامعة بيروت العربية وينشط في العمل التنظيمي للحركة والنشاط الطلابي في رابطة طلبة البحرين في بيروت.

ترتب على قمع انتفاضة مارس 1965 المجيدة، التي لعبت الحركة فيها دوراً قيادياً كما أشرنا، تشرذم التنظيم وسجن عدد من كوادره ولجوء العديد منهم إلى الكويت والسعودية وغيرها. لكن حميدان لم ييأس وواصل عمله النضالي، ونهض هو ومناضلون آخرون ومنهم عبد الرحمن كمال وعبد الرحمن النعيمي بمهام صعبة في بناء تنظيم الحركة والتنظيمات الوطنية التي تفرّعت عنها في منطقة الخليج والجزيرة العربية ومهام نضالية للحركة على المستوى القومي. وكان حميدان في قيادة رابطة طلبة البحرين في بيروت بتشكيلتها الوطنية والتي كان لها دور مهم في الحركة الطلابية البحرينية وقيام الاتحاد الوطني لطلبة البحرين لاحقاً ولعب دوراً أساسياً في رفد النضال الوطني.

## حميدان وتحولات الحركة

يعتبر المناضل أحمد حميدان من أهم المناضلين في حركة القوميين العرب الذين تصدّوا للضرورة التحولات السياسية والفكرية في الحركة والانتقال باستراتيجية النضال الوطني والقومي. لقد كان من رواد الدعوة لاستخلاص دروس هزيمة يونيو 1967 ومراجعة المنطلقات الفكرية لحركة القوميين العرب واستراتيجيتها وبنيتها، والعلاقة ما بين المركز والفروع، والعلاقة ما بين قيادة الحركة في الكويت وتنظيماتها في الخليج والجزيرة العربية. هناك العديد من العوامل التي أسهمت في هذه التحولات ومنها التحولات في النظام الناصري باتجاه ملكية الدولة في 1960 وكارثة الانفصال في 1961 وفشل الوحدة الثلاثية في 1963 والتوجه الاشتراكي للنظام الناصري بعدها وانتصار الثورات المسلحة ضد الاستعمار عربياً ودولياً، وهزيمة يونيو 1967 وانتشار الفكر الاشتراكي.

كان حميدان في مختلف مواقفه النضالية ومنها موقعه القيادي في الحركة مساهماً في التحولات الفكرية والتنظيمية للحركة وأهم محطاتها في مؤتمرات واجتماعات الحركة منذ 1962 حتى 1969، والتي أسهمت في التحولات الفكرية في حركة القوميين العرب باتجاه تبني الفكر الاشتراكي العلمي، وتحولات تنظيمية وبنوية، من تنظيم مركزي إلى تنظيمات وطنية يسارية

علي حميدان والذي أسهم في بناء دولة الإمارات العربية المتحدة، من خلال وزارة الخارجية ووزيرها الشخصية الوطنية والقومية أحمد خليفة السويدي في ظل رئاسة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الحكيمة لاتحاد الإمارات. كان حلم حميدان أن يواصل التحصيل العلمي وهكذا ذهب إلى باريس حيث يتوجب عليه تعلم واتقان اللغة الفرنسية. وبروح المثابرة والتصميم، انغمس حميدان في الدراسة الأكاديمية لنيل الدكتوراه من جامعة نانتيير العاشرة لباريس، وهي من أعرق الجامعات الفرنسية. وخلال إعداده للدكتوراه وضمن متطلباتها فقد كتب عدداً من البحوث المهمة، بينها بحث عن الأمن في منطقة الخليج، وآخر حول الشورى والديمقراطية في الإسلام، والتجربة الديمقراطية في البحرين 1972-1975. ونال درجة الدكتوراه عن بحثه حول الحركة الوطنية الحديثة في البحرين في الفترة 1954 - 1983. كما أن له دراسات أخرى ومنها حركة هيئة الاتحاد الوطني في البحرين والحركة النسائية في البحرين.

من المهم هنا أنه خلال سنوات تحصيله الأكاديمي في باريس، كانت المدينة المعروفة بعاصمة النور، تعج بالنشاط الثقافي والسياسي والتفاعلي مع نضالات الشعوب ومنها النضال الوطني في الخليج العربي، ومن تجليات ذلك تشكيل لجنة مناصرة شعب الخليج، ومن أبرز قادتها المناضل مارك بيلاس وهو أيضاً أكاديمي رياضيات وباحث متمكن وكاتب معروف. وقد ربطت حميدان وبيلاس صداقة وثيقة، وعن جدية حميدان الأكاديمية، يقول مارك إنه وقبل تقديم حميدان لأطروحة الدكتوراه، حرص أن يناقش مسودة الأطروحة مع عدد من المختصين في موضوعها، والمنهجية العلمية ومنهم بيلاس والذي أعجب بتواضع حميدان رغم تجاربه ومعارفه الغنية.

بعد تخرجه عمل حميدان بالمجمع الثقافي في أبوظبي خلال الفترة من 1984 حتى 1997، وحين عاد بعدها إلى البحرين، عمل في سفارة الإمارات العربية المتحدة فيها، حتى تقاعده في 2011. وجدير بالذكر أن د. أحمد حميدان اقترن بالمرحومة الفنانة التشكيلية سميحة رجب وأنجبا ثلاث بنات هن دانة ومريم وتاله في ظل عائلة سعيدة ومتحابة.

وفي هذا الصدد فإنه من الضروري لأهل الفقيه حميدان وأصدقائه والمناضلين الوطنيين أن يبادروا إلى توثيق سيرته النضالية وإنجازاته الأكاديمية. كما أنه من المهم ترجمة وإصدار دراساته وأطروحاته لنيل شهادة الدكتوراه، فهي إضافات نوعية لتاريخ الحركة الوطنية والخليجية والتحولات الكبيرة في البحرين والخليج العربي خلال المرحلة التي عالجتها هذه الدراسات.

سيظل المرحوم المناضل د. أحمد حميدان خالداً في ذاكرتنا وحاضراً في حياتنا من خلال سيرته النضالية من أجل الوطن وخليجنا العربي وأمتة العربية، وإنجازاته البحثية والفكرية والأكاديمية التي تسهم في معرفة أفضل لماضينا وحاضرنا.



## ثلاث محطات تاريخية في المسيرة النضالية لأحمد حميدان



لعلّ هناك ثلاث محطات تاريخية يمكننا التوقف أمامها في المسيرة النضالية الرائدة لفقيد الحركة الوطنية البحرينية والخليجية المناضل الكبير د. أحمد حميدان، التي تمتد بين نهاية خمسينات القرن العشرين والنصف الأول من سبعيناته.



أحمد الديين

### محطة تأسيس الفرع البحريني للقوميين العرب:

فالمحطة الأولى هي محطة تأسيس فرع "حركة القوميين العرب" في البحرين خلال العام 1959، مع ملاحظة أنّ الفقيد سبق له الانتماء إلى الحركة قبل ذلك عندما كان خارج البحرين.

ومثلما هو معروف فقد تأسست "حركة القوميين العرب" في بداية خمسينات القرن العشرين على أيدي عدد من خريجي وطلبة جامعة الأميركية في بيروت وعلى رأسهم المناضل الكبير د. جورج حبش ورفاقه د. وديع حداد من فلسطين ود. أحمد الخطيب من الكويت وآخرين، وذلك في أعقاب النكبة وقيام الكيان الصهيوني في العام 1948 وضمن إطار النضال التحرري الوطني والقومي العربي المقاوم للصهيونية والمعادي للاستعمار والطامح لتحقيق الوحدة العربية، حيث أنشأ المؤسسون في بداية الخمسينات فروعاً لحركتهم الوليدة في عدد من بلدان المشرق العربي مثل لبنان وسورية وفلسطين والأردن والعراق والكويت، بينما تأخر تأسيس فروع الحركة في اليمن والبحرين وليبيا والسودان إلى العام 1959، إلى أن نظم د. جورج حبش دورة سياسية وتنظيمية لتدريس المفاهيم السياسية والتنظيمية للحركة ووسائل التواصل بال جماهير، حضرها عدد من الخريجين والطلبة من أعضاء الحركة، الذين تم كسبهم في مصر ولبنان وامتدت الدورة لمدة أسبوع في دمشق، وكان من بين أعضاء تلك الدورة وفقاً لما هو متناقل من معلومات في صفوف القوميين العرب كلاً

البحرين وتولى المسؤولية القيادية للفرع البحريني، وخلال تلك الفترة توسع التنظيم ونشط وأصدر عدداً من البيانات كان أشهرها بيان ضد انفصال سورية عن الجمهورية العربية المتحدة في أواخر سبتمبر/ أيلول من العام 1961، وتعرض تنظيم الفرع البحريني لحركة القوميين العرب بعدها للملاحقة الأمنية وحملات الاعتقالات، التي كانت تتعرض لها قوى الحركة الوطنية مثل "جبهة التحرير الوطني" والبعث، وفي ظل تلك الظروف وبسبب خلافات فكرية ومشكلات تنظيمية غادر أحمد حميدان البحرين إلى الكويت أولاً ثم إلى بيروت لاحقاً في أواسط العام 1963، فيما تولى قيادة التنظيم بالبحرين رفاق آخرون.

من فيصل عبداللطيف الشعبي مؤسس فرع الحركة في اليمن ورئيس الوزراء لاحقاً في جنوبي اليمن بعد الاستقلال، وعبدالرحمن كمال وأحمد حميدان من البحرين، وآخرين من ليبيا والسودان، وتم تكليف المشاركين في الدورة بمهمة تأسيس فروع لحركة القوميين العرب في بلدانهم. وتولى عبدالرحمن كمال من داخل البحرين وأحمد حميدان من محل دراسته في القاهرة مهمة تأسيس الفرع البحريني للحركة ثم قيادته، وقد استندا في تأسيس الفرع إلى عدد من أعضاء التجمعات الناصرية في البحرين وبين البحرينيين العاملين في السعودية والطلبة البحرينيين في القاهرة والكويت. وفي العام 1961 عاد أحمد حميدان إلى



## ذاكرة

اليساري داخل مركز الحركة (نايف حواتمة، محسن إبراهيم، ومحمد كشلي) في عملية تحول حركة القوميين العرب، أو بالأحرى تصفيتها كحركة قومية عربية ذات تنظيم مركزي عربي تتبعه فروع محلية ليتم إطلاق عملية تأسيس حركات يسارية ماركسية جديدة بديلة عنها في بلدان المشرق العربي.

### محطة اليسار

#### الخليجي الجديد والثورة:

أما المحطة التاريخية الثالثة في المسيرة النضالية للفقيد أحمد حميدان، الذي كان يحمل اسماً حركياً هو "سالم" فتمثلت في قيادته "الحركة الثورية الشعبية في عمان والخليج العربي"، التي كان لها فروع في عمان والبحرين والكويت، وكانت بمثابة الحزب السياسي القائد للجهة، التي كانت تقود الثورة المسلحة في ظفار منذ 5 يونيو/ حزيران 1965 ضد الاستعمار البريطاني والنهج الرجعي المتشدد للسلطان سعيد بن تيمور واتخذت في سبتمبر/ أيلول من العام 1968 اسم "الجهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل" عندما تبنت الاشتراكية العلمية، وبعدها بادرت تلك "الحركة الثورية الشعبية" بقيادة أمينها العام أحمد حميدان إلى إطلاق "بؤرة ثورية" وسط عمان تحت اسم "الجهة الوطنية الديمقراطية لتحرير عمان والخليج العربي" في 12 يونيو/ حزيران من العام 1970 عبر عملية عسكرية استهدفت معسكر "أزكي"، ولكن تلك العملية العسكرية منيت بالفشل، وبالتالي فقد فشلت معها محاولة إقامة "البؤرة الثورية" في وسط عمان.

وفي أعقاب تلك العملية جرى اعتقال المشاركين فيها وبعدها بأكثر من شهر في 18 يوليو/ تموز تم اعتقال عدد من أبرز قيادة الحركة وضمنهم أحمد حميدان وأحمد الربيعي وحفيظ الغساني في بيت حزبي سري كانوا يقيمون فيه بمطيرح القريبة من مطرح.

ولكن رغم ذلك الفشل، إلا أن تلك العملية ساهمت سياسياً في تسريع عملية إزاحة السلطان سعيد بن تيمور، الذي كان عهده يتميز بالرجعية والتشدد وهو أحد أسباب الثورة، حيث شهدت عمان عملية تغيير في قمة السلطة في 23 يوليو/ تموز من العام 1970 وحدثت تبدل ملحوظ في سياسة السلطنة والاستجابة لجانب من استحقاقات التحديث.

أما المناضل أحمد حميدان فقد جرى اعتقاله في سجن قلعة الجلاي الأثرية بمسقط، وبعدها تم تسليمه إلى البحرين واعتقل هناك فترة من الوقت.

ومع أن الفقيد لم يدون مذكراته، وكان متحفظاً في سرد ذكرياته، إلا أنه لا يمكن لأحد أن يتجاهل دوره التاريخي الريادي المشهود في إطار الحركة الوطنية البحرينية والخليجية وتحولاتها خلال الفترة بين نهاية خمسينات القرن العشرين والنصف الأول من سبعيناته... فله الذكرى الطيبة.

والإيديولوجية. أي هو مرهون بصعود الطبقة العاملة على رأسها، متسلحة ببرنامجهما الجذري ومتحالفة مع فقراء الفلاحين والجنود والقطاعات المستجيبة من البورجوازية الصغيرة. وهو تغير لا يمكن أن يتحقق تلقائياً وبالممارسة العفوية التجريبية، بل بقيادة أحزاب طليعية تلتزم إيديولوجية الطبقة العاملة (الماركسية اللينينية) وتنظم في صفوفها طليعة الطبقة العاملة وطلائع الطبقات الحليفة لها. وبنضال هذه الأحزاب تحت رايات برنامج وطني جذري ينطلق من التحليل الملموس للواقع الملموس في كل قطر عربي، وبأشكال وأساليب من الكفاح متعددة لابد أن تتصاعد لتتبلور في أعلى أشكال العنف الثوري وأكثرها حسماً، الكفاح المسلح - بنضال هذه الأحزاب يمكن لحركة التحرر الوطني العربية أن تجدد بنيتها، وتعطي لتحالفاتها الطبقة معناها الصحيح، وتكتسب قدراتها على متابعة حربها الوطنية الطويلة النفس".

وفي هذا السياق، وضمن عملية واسعة ومعقدة ومتناقضة من الصراعات والانحيازات والانقسامات والاستقطابات في مركز قيادة الحركة ببيروت وفي فروعها، تمكن التيار اليساري، الذي كان أحمد حميدان أحد نشاطه من السيطرة على "اللجنة التنفيذية القومية" للحركة، حيث عقدت اللجنة خلال شهر يناير/ كانون الثاني من العام 1969 اجتماعاً ضم ممثلين لقيادات الأقاليم (أقليم سوريا، أقليم العراق، أقليم لبنان، أقليم الخليج العربي - بما فيه الكويت، الجهة الشعبية لتحرير الخليج المحتل، يسار حركة القوميين العرب في الساحة الفلسطينية، المنظمات الطلابية في الجمهورية المتحدة) درست خلاله في ضوء تحليلها للوضع العربي العام أوضاع حركة القوميين العرب، وأصدرت في فبراير/ شباط من العام 1969 ما أسمته "بياناً سياسياً تاريخياً" أعلنت فيه "أن ما حصل في الحركة تنظيمياً على الصعيد العربي العام، ليس مجرد انشقاق في صفوفها، بل معناه الأساسي أن الحركة بكل ما مثلته وما رمزت اليه تاريخياً تعيش الآن مرحلة تصفية وانتهاء". .. وأن انتصار اليسار تنظيمياً داخل صفوف الحركة ونجاحه في تصفية بنيتها الطبقة والإيديولوجية التقليدية إنما يفقدها مبرر وجودها الأصلي وينهيها كصيغة وكإطار للعمل السياسي، ويفتح الطريق أمام يسارها لانتهاج طريق جديد متحرر كلياً من ائقال الخمسة عشر عاما الماضية من الممارسات القومية اليمينية والبورجوازية الصغيرة التي شكلت تاريخ الحركة... وبذلك "لن تكون هناك أو تبقى أية مبررات لاستمراره عاملاً تحت اسم ((حركة القوميين العرب))".

أما على مستوى فروع الحركة في الخليج والجزيرة العربية فقد سبق أن أعلنت في يناير/ كانون ثاني من العام 1969 انطلاقة "الحركة الثورية الشعبية في عمان والخليج العربي"، التي تولى أحمد حميدان مسؤولية الأمين العام لها.

أي أنه يمكننا تلخيص دور أحمد حميدان عندما كان عضواً في الأمانة العامة لحركة القوميين العرب في بيروت بين العامين 1963 و1969 بالمشاركة النشطة مع قادة التيار

### محطة المركز

#### والانحياز يساراً:

أما المحطة النضالية الثانية للفقيد أحمد حميدان فكانت في بيروت بدءاً من العام 1963 حتى بدايات العام 1969 عندما التحق هو ورفيقه عبدالرحمن كمال بالأمانة العامة لحركة القوميين العرب، التي كان مركزها في بيروت، وكانت الحركة حينذاك وبدءاً من أواسط العام 1961 تشهد صراعات فكرية بين الاتجاه القومي التقليدي، الذي كانت تمثله من جهة القيادة التاريخية المؤسسة، ومن جهة أخرى التيار اليساري المتجه نحو تبني الاشتراكية ولاحقاً الماركسية، ومن أبرز عناصره المناضل الأردني - الفلسطيني الكبير نايف حواتمة، الذي كان يقود الفرع العراقي بين العامين 1958 و 1963 ثم عاد إلى لبنان والقياديين اللبنانيين البارزان محسن إبراهيم ومحمد كشلي، وكان أحمد حميدان مقرباً إلى نايف حواتمة، وتبنى على نحو صريح الفكر الماركسي، وخلال تلك الفترة انحاز إلى التوجه اليساري في حركة القوميين العرب الفرع اليمني، الذي كان يقود الثورة في الجنوب ضد الاستعمار البريطاني تحت راية "الجهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل"، وانفصل ذلك الفرع اليمني عن مركز الحركة مبكراً بدءاً من يناير من العام 1966 بسبب خلافات مع المركز تتصل بموقف المركز الداعي لدمج "الجهة القومية" مع "جهة التحرير" بقيادة عبدالقوي مكايي الرئيس السابق لوزراء محمية عدن، كما مال نحو اليسار الفرع العراقي، الذي اتخذ اسم "الحركة الاشتراكية العربية"، وبدأ التوجه اليساري يتنامى في صفوف فروع حركة القوميين العرب، ومن بينها فروع الحركة في منطقة الخليج والجزيرة العربية، التي كانت تضم البحرين والسعودية وقطر وعمان ويقودها الفرع الكويتي للحركة بزعامة د. أحمد الخطيب، وهذا ما أدى في العام 1967 إلى اشتداد التناقض بين الفروع الخليجية وقيادة الفرع الكويتي التي كانت تنتمي إلى التيار القومي التقليدي للقيادة التاريخية المؤسسة.

وساهم أحمد حميدان من موقعه في الأمانة العامة للحركة في تعزيز التيار اليساري المتنامي داخل الحركة سواءً على مستوى المركز أو على مستوى فروع الحركة خصوصاً فروعها في الخليج والجزيرة العربية.

وفي أعقاب نسخة يونيو/ حزيران من العام 1967 بلور التيار اليساري في مركز الحركة ببيروت وضمنه أحمد حميدان خطاً فكرياً وسياسياً ونضالياً اشتهر باسم "موضوعات حزيران"، التي كانت تستند إلى أن "الذي انهزم هو الطبقة التي قادت حركة التحرر الوطني العربية في هذه الحرب، وأن الذي سقط هو برنامج هذه الطبقة العاجز كلياً عن توفير مقومات الصمود في هذه الحرب... وأن نهوض حركة التحرر الوطني العربية (...) من أجل تحقيق مهمات ثورية وطنية ديمقراطية يمكن في بيئتها التصدي للعدوان الاسرائيلي، هو أمر مرهون بحصول تغير أساسي في طبيعة بيئتها الطبقة



أحمد الشملان وزوجته فوزية مطر مع أحمد حميدان وعائلته

## محطات جمعت أحمد حميدان بأحمد الشملان \*

كان الراحل المناضل الدكتور أحمد حميدان أحد من التقت بهم الباحثة فوزية مطر، لاخذ شهادتهم، فترة إعدادها كتابها البحثي والتوثيقي المهم عن زوجها ورفيق حياتها الفقيه المناضل أحمد الشملان، والذي صدر بعنوان «أحمد الشملان.. سيرة مناضل وتاريخ وطن»، عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في العام ٢٠٠٩، ومن هذا الكتاب ننقل بعض ما ورد فيه عن محطات العلاقة التي جمعت بين المناضلين الفقيدين، حميدان والشملان، خاصة في الفترة بين بداية ونهاية عقد الستينات، ويمكن للقارئ العودة إلى كتاب الباحثة للوقوف على العرض التفصيلي لتلك العلاقة منذ بداياتها إلى المرحلة التي جمعتهم في السجن بالبحرين.

في ذلك الشتاء كان قد نشط في المجال الطلابي وكنت أعرف عنه من العناصر المركزية التي كانت حلقة الوصل بيننا وبين بغداد».

بقي أحمد الشملان في بيروت مدة أسبوع عاد بعدها إلى بغداد لينشط في الوسط الطلابي البحريني والعماني بين الطلبة المنتمين لليسار الجديد في حركة القوميين العرب. يقول د. أحمد حميدان: «أذكر أن أحمد الشملان نشط في إطار العمل الطلابي في بغداد، كان هناك تحرك على استيعاب العناصر وكان أحمد نشيطاً فيه، وحسب معلوماتي أنه نشط بشكل خاص في صفوف الطلبة العمانيين الذين كانوا من أنشط العناصر الموجودة وبحاجة إلى توجيه نشاطهم»، وكان هناك ربط تنظيمي مركزي لأحمد الشملان مع بيروت من خلال علاقته مع عضو الأمانة العامة المركزية أحمد حميدان، حيث يشير الشملان إلى أن اتصالاته ولقاءاته التنظيمية في بيروت كانت تتم فقط مع حميدان.

لقد قام أحمد حميدان بدور قيادي على مستوى ربط الأقاليم، وكان كل العمل بيده.

ترك البحرين كان في هذا الطور في وقت بدأنا نحن ننقل للماركسية بل مضى علينا فترة طويلة نقرأ الماركسية وبدأنا نتحدث بالطروحات الماركسية».

بعد مرور شهر على قبول أحمد الشملان في جامعة بغداد بدأت إجازة منتصف العام الدراسي فبراير 1968، فقرر أحمد السفر إلى بيروت بدافع شغل فكره إلى درجة القلق والتشوش وهو رغبته في الوقوف عن قرب على التحولات الجارية بحركة القوميين العرب في أعقاب مؤتمر الحركة الذي عقد في ديسمبر 1967 في بيروت. وصل الشملان إلى بيروت براً وهناك التقى بالبحرينيين من القيادات القومية المركزية مثل عبدالرحمن كمال وأحمد حميدان، وعن هذه الزيارة قال د. أحمد حميدان: «التقيت مع أحمد الشملان في بيروت شتاء العام 1968، ولا أذكر أنه كان لقاءً تنظيمياً فحينها لم تكن الحركة الثورية الشعبية قد أعلنت بعد، كانت بداية التحرك لجمع العناصر التي سعت لتأسيس الحركة الجديدة، إلى ذلك الوقت لم يكن هناك ما يربط الفروع بأي علاقة ولم تكن الصورة قد تبلورت بعد، وحينما جاءنا أحمد إلى بيروت

يتذكر د. أحمد حميدان لقائه الأول بأحمد الشملان بقوله» أذكر أنني التقيت بأحمد الشملان لأول مرة في البحرين سنة 1963 وكان قادماً من الكويت، وقد أعطي اسمي كي يتصل بي لمتابعة النشاط.

التقيت مع الشملان لكني لم يحصل بيننا عمل تنظيمي، فقد كانت الحركة في البحرين حينها في وضع مربك وكنا نمرّ بفترة اعتقالات.

وأذكر أنني تكفلت بتوصيله لجهة ما أو ربطه بشخص ما أظنه كان الأستاذ محمد خليفات، ثم غادرت البحرين في مايو 1963 إلى بيروت».

يضيف حميدان: «عندما غادر أحمد الشملان البحرين العام 1967 إلى بغداد كان لا يزال في أطر فكر حركة القوميين العرب ولم يدخل في طور الماركسية، كان لا يزال يتحدث في إطار اليسار الذي يمثل محمد كشلي ومحسن إبراهيم وأطروحاتهما، وحتى هذه كان عليها خلاف فحسب معلوماتي ظلت عناصر البحرين معزولة لفترة طويلة وكانت متمسكة بالفكر القومي الكلاسيكي ودخلت بصعوبة في طروحات اليسار، وأحمد الشملان حينما



## ذاكرة

يقول د. أحمد حميدان: «جمعني لقاء بأحمد الشملان في دبي بعد عودتي النهائية لها صيف 1969 وكنا بصدد الإعداد للدخول الى عمان الداخل لتفجير الكفاح المسلح. كان هناك توجه لدعوة كل العناصر الممكن دخولها فالقيادات في المناطق بما فيها قيادات العمل الطلابي كانت مكلفة بمهمة دفع العناصر للمجيء، كان مطلوباً منها أن تبعث بالعناصر الى دبي لدخول المنطقة، وأحمد الشملان جاء الى دبي في إطار هذه المهمة. وصل أحمد وأقام معنا في بيت واحد لفترة، وكان بيتاً للتنظيم تجري فيه عدة عمليات من ضمنها إعداد العناصر التي ستدخل الداخل، وكان يجري حينها حوار بيننا وبين حزب العمل العماني للمشاركة في تفجير الكفاح المسلح في عمان».

تحدث د. أحمد حميدان عن حالة الصراع التي مرّ بها أحمد الشملان في تلك الأيام، مؤكداً المناقشات التي دارت بينهما فقال: «حالة الصراع الفكري والنفسي التي عاشها أحمد الشملان هي التي أوصلته للوضع المرضي الذي صار عليه، كان الوضع السياسي ملتبساً على الكثيرين».

الشملان سافر في تلك الفترة إلى موسكو مع الشباب الظفاريين ضمن وفد رسمي يمثل الجبهة، وفي ذلك الظرف كانت الالتباسات بين الجيفارية والماوية والخط السوفيتي الذي سمّوه التحريفية والخط المستقل من الناحية النظرية والسياسية، كانت التباسات متداخلة. ومن المحتمل أن أحمد الشملان تأثر بزيارته للاتحاد السوفيتي لأن ذلك كان مطروحاً، الشباب الظفاريون كانوا يطرحون أن أحمد بعد أن سافر موسكو ضمن وفد الجبهة الشعبية عاد وقد أصبح من الخط التحريفي، هذا الكلام سمعته في آخر فترة لي معهم.

يضاف الى ذلك قضية الكفاح المسلح الذي كان مطروحاً على مستوى الجبهة بقوة، وأنا أتذكر أنه كانت لي نقاشات مع أحمد الشملان في تلك الفترة حول هذا الموضوع».

يوصل د. أحمد حميدان حديثه قائلاً: «هنا شيء أذكره للحقيقة والتاريخ وهو أن فهم الماركسية ربما هو الذي أثر في أحمد الشملان كثيراً لأنه كان يعيش الحالة بعمق، فقد كان هناك خلط وعدم وضوح، هناك حديث عن يسار وحديث عن الماركسية وعن اللينينية وحديث عن الجيفارية، كانت هناك خلطة والجميع لم يكن يتحدث ضمن طرح واحد».

وكنا نحن عناصر قليلة - أنا أعتبر نفسي ولا أعرف الى أي درجة كان الآخرون منسجمين في الخط نفسه - كنا نسعى لإيجاد خط ماركسي لا هو سوفيتي ولا ماوي ولا جيفاري، كانت محاولتنا هي التمسك بالماركسية كمتهج وخلق شيء جديد، إلا أنه بين الطموح وبين الموجود كان الفارق كبيراً».

\* من كتاب «أحمد الشملان .. سيرة مناضل وتاريخ وطن»، لمؤلفته فوزية مطر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٩.



أحمد حميدان وأحمد الشملان

بعد تأسيس الحركة الثورية الشعبية في عمان والخليج العربي وقيام الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل، بُذلت محاولات لتوحيد هيئات ولجان العمل بين الطرفين الحركة الثورية والجبهة الشعبية في ظفار.

قال د. أحمد حميدان: «بعد المؤتمر الاستثنائي (المؤتمر الثاني للحركة الثورية) بدأت عملية اللقاءات بالجبهة الشعبية في ظفار ومحاولة التوحيد، أصبحت أولى المهام أمامنا هي الاتصال بالظفاريين والدخول في حوارات لتوحيد العمل وإعادة النظر في الإستراتيجية. بذلنا محاولات للحوار، وقد ذهب شخصياً الى الداخل في الفترة ما بين 1968 و 1969 ضمن مساعي الحوار باتجاه التوحيد، وبالرغم من الاتصالات التي تمت لم تنجح المحاولات لأن الظفاريين كانوا متمسكين بوجهة نظرهم ورؤيتهم».

دخل أحمد الشملان ظفار أول مرة ضمن وفد على رأسه أحمد حميدان وعبدالرحمن كمال للحوار حول مسألة التوحيد. يتذكر أحمد الشملان تفاصيل زيارته الأولى لظفار بقوله: «وصلت ضمن الوفد الذي زار الاتحاد السوفيتي الى عدن، وهناك كان الرفيقان أحمد حميدان وعبدالرحمن كمال موجودان وعرفت بالمهام التي تنتظرنا».

بتاريخ 19-21 يوليو 1968 عقد مؤتمر قطري استثنائي لتنظيم حركة القوميين العرب - إقليم الخليج في دبي. حضر المؤتمر مندوبون عن قطر، البحرين، الكويت، عمان الداخل وظفار. اعتبر المؤتمر منطقة الخليج إقليماً موحداً والسعودية منطقة تنظيمية مستقلة، وأقر إستراتيجية الكفاح المسلح رغم تحفظ وفدي الكويت وقطر، كما أقر العمل الجاد والسريع لتفجير النضال المسلح في عمان الداخل وخلق بؤر ثورية في عموم المنطقة ترتبط مع بعضها البعض لتصعيد النضال الوطني ضد الاستعمار وعملائه، وأعلن تبني الماركسية اللينينية وانتخب مكتباً سياسياً كلف بتسمية التنظيم الجديد، وعن هذا المؤتمر يقول حميدان: «في نهاية العام 1968 وما بعد ذلك بدأنا ننشط في اتجاه جمع العناصر بهدف الانشقاق عن حركة القوميين العرب وتشكيل الحركة الثورية الشعبية، فباشرنا الاتصال بالعناصر العمانية في الساحل وعناصر عمان والعناصر الطلابية وتدايناً لعقد المؤتمر الاستثنائي في دبي الذي عُقد فيما بعد المؤتمر الثاني للحركة الثورية، والمؤتمر الاستثنائي هو الذي حسم رسمياً إيديولوجية الحركة التي أصبحت الماركسية اللينينية، وبعده أعلننا قيام الحركة الثورية الشعبية».

في نهاية يناير 1969 اجتمع المكتب السياسي واتخذ قراراً بتسمية التنظيم بمسمى «الحركة الثورية الشعبية في عمان والخليج العربي»، وانتخب أحمد حميدان سكرتيراً للمكتب السياسي وعبدالرحمن كمال مسؤولاً للجنة العلاقات الخارجية وأصدر أول بيان باسم الحركة نشر في مجلة «الحرية». وهكذا أطلق يسار حركة القوميين العرب في إقليم الخليج الذي التزم الماركسية والكفاح المسلح على نفسه «الحركة الثورية الشعبية في عمان والخليج العربي».

في أوائل فبراير 1969 سافر أحمد الشملان ضمن وفد بغداد إلى اجتماع التنظيم الطلابي للحركة الثورية الشعبية الذي عُقد في بيروت فبراير 1969. يقول الشملان: «حضر في بيروت اجتماعاً تنظيمياً استمر ثلاثة أيام مع كواد تنظيمية طلابية من بغداد، بيروت والقاهرة من البحرينيين والعمانيين. وحضر الاجتماع من أعضاء المكتب السياسي للحركة الثورية القياديان البحرينيان عبدالرحمن كمال وأحمد حميدان، ولم يمض شهر على عودة أحمد الشملان الى بغداد حتى وصله استدعاء من أحمد حميدان سكرتير المكتب السياسي للحركة الثورية الشعبية للذهاب - على وجه السرعة - الى بيروت. غادر أحمد الشملان الى بيروت في أبريل 1969. وهناك التقى بسكرتير المكتب السياسي للحركة الثورية الشعبية أحمد حميدان الذي أخبره أن مكتب الحركة في عدن يطلبون حضوره إلى هناك حالاً. قال د. أحمد حميدان: «كان أحمد الشملان عضواً في مكتب (لجنة) العلاقات الخارجية وكلف بالانضمام إلى وفد الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل الذي سافر في أول زيارة إلى موسكو».

## أين برنامج التوازن المالي من تصفير العجز المالي ومعالجة البطالة؟

في أكتوبر ٢٠١٨ وقبل بداية الفصل التشريعي أعلنت الحكومة عن برنامج التوازن المالي من خلال الإعلان عن مبادراته، وذلك بعد توقيع المملكة الترتيبات الإطارية للتعاون المالي بشأن برنامج التوازن المالي مع المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة ودولة الكويت، والتي سيتم بموجبها دعم وتمويل برنامج التوازن المالي الذي سيمتد حتى عام ٢٠٢٢.

حيث يُهدف منه كما أعلن إلى تحقيق أهداف المسيرة التنموية الشاملة بمواصلة خطى التنمية الوطنية الشاملة ولوضع برامج تنفيذية تسعى إلى استمرارية التنمية، وزيادة الاستثمارات، وتعزيز الفرص الاستثمارية، وتسهيل الإجراءات الحكومية لخلق الفرص النوعية للمواطنين.

وبنسبة تصل إلى 8% هذا على الرغم من أن العديد من الدراسات تفيد أن أعداد العاطلين يفوق الأعداد المعلنة رسمياً، هذا عدا ما يعايشه المواطنون، حيث طال داء البطالة جميع البيوت والعوائل البحرينية، فهل من مراجعة لهذا البرنامج أم سنستمر في تبديد المديح وحرق البخور له؟؟

بخصوص تصفير العجز في الميزانية، يتبين من آخر حساب ختامي أعلن لعام 2023، ورغم أن هذه السنة تميزت بارتفاع كبير في سعر برميل النفط ووفق تصريحات الحكومة حيث بلغ سعر برميل النفط البحريني معدل 84 دولار بزيادة تعادل 40% عن ما قدر في الميزانية، إلا أنه لم يحد من مقدار العجز الفعلي، حيث بلغ حوالي 774 مليون دينار متجاوزاً ما قدر في الميزانية بنسبة تزيد على الـ 23%، وبالتأكيد وعلى خلاف ما نص عليه برنامج التوازن المالي بتصفير العجز في 2022 والذي تم تمديده لسنة 2024 استمر في اتجاه متصاعد ليتنامى هذا العجز إلى أرقام غير مسبوقة. ففي ميزانيات 2025 و2026 والذي قدر بما يقارب المليار ونصف ومليار في السنة الأولى، ومليار و77 مليون في السنة الثانية وبخلاف ما نص عليه برنامج التوازن المالي.

أما في ما يختص بخلق فرص عمل نوعية للمواطنين فالأرقام الرسمية المعلنة من قبل الجهات الرسمية توضح تضاعف الباحثين عن العمل، عدداً ونسبة، ففي عام 2018 ووفق إجابة وزارة العمل على سؤال نيابي تقدم به سعادة النائب الأول عبد النبي سلمان عن عدد العاطلين المسجلين

في وزارة العمل أجاب سعادة وزير العمل جميل حميدان أن العاطلين المسجلين حينها في وزارة العمل قد بلغ 8399 باحث عن عمل، وبنسبة 4.3% من عدد القوى العاملة البحرينية.

مقارنة بهذا الرقم وفي إجابة أخرى

لوزارة العمل ذاتها على سؤال برلماني

تقدم به سعادة النائب عبد الواحد

قراطة أظهرت إجابة وزارة عن أعداد

الباحثين عن عمل وجود 16979

باحث عن عمل مسجل لدى الوزارة،

في نهاية العام 2023، وبنسبة

تصل إلى 8%، هذا على الرغم من

أن العديد من الدراسات تفيد أن

أعداد العاطلين يفوق الأعداد المعلنة

رسمياً، هذا عدا ما يعايشه المواطنون،

حيث طال داء البطالة جميع البيوت

والعوائل البحرينية، فهل من مراجعة

لهذا البرنامج أم سنستمر في تبديد المديح

وحرق البخور له؟؟

ويرتكز هذا البرنامج وعبر عدة مبادرات إلى تقليص المصروفات التشغيلية للحكومة، وتعزيز كفاءة الإنفاق الحكومي، وطرح برنامج التقاعد الاختياري لمن يرغب فيه من موظفي الحكومة، وزيادة كفاءة هيئة الكهرباء والماء لتحقيق التوازن بين إيراداتها ومصروفاتها، وتعزيز كفاءة وعدالة الدعم الحكومي المباشر لمستحقيه من المواطنين، إلى جانب تسهيل الإجراءات الحكومية وزيادة الإيرادات غير النفطية. مما سيكون له دور كبير في تقليل العجز، فماذا تحقق من هذه البرنامج بعد ما يزيد على 6 سنوات، خاصة في ما يعني بتحقيق التوازن المالي بتصفير العجز في الميزانية وخلق فرص عمل نوعية للمواطنين؟

تبع إقرار هذا البرنامج تنفيذ برنامج التقاعد الاختياري لمن يرغب فيه من موظفي الحكومة وتشجيعهم له بتقديم حوافز للمشاركين في البرنامج تتمثل في ضم 5 سنوات اعتبارية لسنوات الخدمة الفعلية والافتراضية بحسب القوانين والأنظمة، ومبلغ نقدي يساوي تكلفة شراء 5 سنوات افتراضية إضافية، وترقية نهاية الخدمة للمستحقين، ومكافأة نهاية الخدمة، والذي تم عبره إخراج ما يقارب 9000 موظف في الحكومة إلى التقاعد المبكر، دون أي اعتبار لتبعات هذا الإجراء على الوضع المالي لصندوق التقاعد العام، والذي سبق وأن حذرت العديد من التقارير والدراسات من عواقب مثل هذه الإجراءات على وضع الصناديق التقاعدية المالي واستدامتها.

أما في ما يختص بخلق فرص عمل نوعية للمواطنين

فالأرقام الرسمية المعلنة من قبل الجهات الرسمية

توضح تضاعف الباحثين عن العمل، عدداً

ونسبة، ففي عام 2018 ووفق إجابة

وزارة العمل على سؤال نيابي تقدم به

سعادة النائب الأول عبد النبي سلمان

عن عدد العاطلين المسجلين في

وزارة العمل أجاب سعادة وزير

العمل جميل حميدان أن العاطلين

المسجلين حينها في وزارة العمل

قد بلغ 8399 باحث عن عمل،

وبنسبة 4.3% من عدد القوى

العاملة البحرينية.

مقارنة بهذا الرقم وفي إجابة

أخرى لوزارة العمل ذاتها على

سؤال برلماني تقدم به سعادة

النائب عبد الواحد قراطة أظهرت

إجابة وزارة عن أعداد الباحثين عن

عمل وجود 16979 باحث عن عمل

مسجل لدى الوزارة، في نهاية العام 2023،



فلاح هاشم





# الدين العام.. إنقاذ أم إغراق؟

يعتبر الدين العام هو مجموع الديون المستحقة على الدولة التي تقتترضها من الأفراد أو المؤسسات (من الداخل أو الخارج) لتمويل مشاريعها التنموية. ولقد شهد الدين العام في البحرين - ذات الاقتصاد الصغير مقارنة بأقرانها في الخليج - ارتفاعاً كبيراً في السنوات الأخيرة، مما أثار عدة مخاوف وتسؤلات حول أسباب استمرار ارتفاع الدين العام وأثاره على الاقتصاد الوطني، وهل البحرين بحاجة لهذا الحجم الضخم من الدين العام؟

للإجابة على ذلك، يجب علينا في البداية النظر إلى الوضع المالي لمملكة البحرين، حيث يعتمد اقتصادها بشكل أساسي على الإيرادات النفطية، ويؤدي تراجع أسعار النفط إلى ضعف حجم الإيرادات، فتلجأ الحكومة إلى الاقتراض لتمويل العجز في الموازنة العامة. كما ساهم زيادة الانفاق الحكومي في السنوات الأخيرة على المشاريع التنموية والبنية التحتية إلى زيادة العجز المالي، مما دفع الحكومة إلى الاقتراض بشكل أكبر.



إيمان شويطر

(ن.م.إ.).

ولمقارنة نسبة الدين إلى ن.م.إ. مع دول عربية أخرى لعام 2024 مثلاً، نجد أن هذه النسبة بلغت في مصر 90.9٪، الإمارات 31.3٪، السعودية 28.3٪، العراق 45.7٪، المغرب 68.7٪، الأردن 91.7٪، بينما نجدها الأعلى في مملكة البحرين، حيث بلغت 126.7٪ في نفس العام 2024 !!! ومن المتوقع أن تتفوق هذه النسبة إلى 130٪ مع الزيادة الجديدة في سقف الاقتراض.

وإذا ما قارنا الأرقام المطلقة للدين العام لمملكة البحرين، البالغ 60.6 مليار دولار لعام 2024، فسنجد أنه يزيد على مثيله في الأردن بمقدار الربع، بينما عدد سكان الأردن يفوق عدد سكان بلداننا سبع مرات ونصف تقريباً !!

هذا، دون الحديث عن الديون الخفية التي أشار إليها ديوان الرقابة المالية والإدارية في تقريره الأخير لعام 2023، حيث لفت إلى قيام الوزارات والجهات الحكومية بالاقتراض بشكل مباشر دون أن تدرج ضمن رصيد الدين العام للدولة، وقد وصلت في العام 2023 إلى حوالي 3.9 مليار دينار.

هناك عدم اتساق فاضح بين رفع سقف الدين العام بمقدار 4.5 مليار د.ب (من 18 إلى 22.5 مليار د.ب) وعجز الميزانية للسنتين 2025 و 2026، البالغ أكثر من 2

يزيد من معضلة الدين العام هو فقدان الميزانية لأي جانب استثماري - إنتاجي، بحيث يساهم مردود هذه المشاريع في سداد الدين العام، إضافة إلى تلبية حاجات التنمية الاقتصادية الاجتماعية الأخرى. ولذلك فإن هذه الزيادة المضطردة في الدين العام ستكون ذات آثار اجتماعية سلبية جمّة، بسبب طبيعة السياسة الضريبية غير العادلة والرجعية. وما نخشاه هو وصول المملكة إلى مرحلة تعتمد فيها على زيادة الضرائب وتقليص النفقات الحكومية وكذلك خفض دعم السلع وزيادة على ما هو حاصل، مثل ما حدث في اليونان وتركيا، لتدخل البحرين في مرحلة من الركود الاقتصادي وازدياد البطالة وارتفاع كلفة المعيشة واتساع دائرة الفقر. والمتضرر الأول والأخير من ذلك هو المواطن ذي الدخل المتوسط والمحدود.

إن معالجة مشكلة ارتفاع الدين العام في البحرين يتطلب إرادة سياسية حازمة، خطوات عاجلة في تنفيذ الإصلاحات الاقتصادية، تحسين الإدارة المالية، ضبط المصروفات، وتحقيق التنوع الاقتصادي بعيداً عن النفط.

كل ما نخشاه هو أن نصل لمرحلة ندفع فيها جُل إيراداتنا النفطية كقوائد للدين العام، لذلك نحن حاولنا أن نعمل بشكل مستمر مع الحكومة من أجل إيجاد حلول تجنبنا الآثار الكارثية له.

وعند النظر إلى البيانات الرسمية، سنجد أن الدين العام لمملكة البحرين شهد ارتفاعاً صاروخياً خلال السنوات الأخيرة ليصل إلى 18 مليار دينار في العام 2024، وعزت الحكومة أسباب الارتفاع إلى حاجتها للإنفاق على المشاريع التنموية، على الرغم من الدعم الخليجي السخي (المارشال الخليجي) بقيمة 10 مليار دولار لمدة 10 سنوات والذي ساهم في تنفيذ عدة مشاريع ضخمة في البنية التحتية للمملكة.

وكان من المتوقع أن تساهم ضريبة القيمة المضافة بنسبة 10٪ والضريبة الانتقائية على السلع إلى جانب برنامج التوازن المالي والتكشف في المصروفات الذي اتبعته الحكومة في السنوات الأخيرة في خفض العجز، لكن الدولة استمرت في رفع سقف الاقتراض بشكل مستمر حتى وصل إلى 22.5 مليار دينار والذي تم تقديمه مع مشروع الميزانية العامة للدولة 2025-2026 في شهر مارس الماضي، ويبقى التوازن المالي بعيد المنال.

لقد حذرنا مراراً وتكراراً من مخاطر ارتفاع الدين العام على الاستقرار المالي للمملكة وعلى مستقبل الأجيال المقبلة. وتعتبر هذه الزيادة غير المسبوقة في حجم الدين العام للدولة مجازفة كبيرة إن صح التعبير، حيث سترتب عليها 3 تبعات سلبية رئيسية ومباشرة وقد تكون كارثية.

أولها زيادة عبء الفوائد، فمع ارتفاع حجم الدين العام تزداد المبالغ التي تدفعها الدولة كقوائد للجهات المقرضة، حيث بلغ مجموع الفوائد المترتبة عليه في عام 2023 نحو 743 مليون دينار، ومن المتوقع أن تصل هذه الفوائد إلى حاجز المليار دينار سنوياً، وكان من الأجدى أن يتم تخصيص هذه المبالغ لتنفيذ مشاريع تنموية في مجال الصحة والتعليم والبنية التحتية.

ثانياً، أدى استمرار ارتفاع حجم الدين العام إلى خفض التصنيف الائتماني للبحرين ليصل إلى B+ مع نظرة مستقبلية سلبية، وذلك بحسب وكالة فيتش. مما يؤدي إلى زيادة تكلفة الاقتراض من الأسواق المالية.

ثالثاً، قد يُعتبر ارتفاع الدين العام مؤشراً على ضعف الاستقرار المالي في البحرين، مما يقلل من جذب الاستثمارات الأجنبية التي تفضل الدول ذات الأوضاع المالية المستقرة.

وفي العرف الاقتصادي، يُعد الدين العام مقارنة بالنتاج المحلي الإجمالي للدولة أحد المؤشرات الاقتصادية المهمة التي تحدد قدرة الدولة على الوفاء بالتزاماتها المالية. وتحدد الدول المتقدمة ما نسبته 60٪ كحد أقصى للدين العام، لكن البحرين تجاوزت هذه النسبة في عام 2021 لتصل إلى 114٪ من الناتج المحلي الإجمالي

**كل ما نخشاه  
هو أن نصل  
لمرحلة ندفع  
فيها جُل إيراداتنا  
النفطية كقوائد  
للدن العام،**

## التقارب الأميركي الإيراني ومستقبل المنطقة

تابع العالم خلال الأسابيع الثلاثة الأخيرة محاولات التقارب الدؤوبة بين الولايات المتحدة الاميركية وجمهورية ايران الإسلامية بعد عقود من العداء والمناكفة المستمرة في العلاقة بين البلدين وعلى مستوى المنطقة بأسرها. هنا ما الذي نستطيع مقارنته من مواقف يمكن ان يبنى عليها مستقبل نجاح أو فشل الحوار غير المباشر الجاري حالياً بين البلدين، ضمن علاقاتهما المتوترة منذ عقود، وسنوات من التشنج والحروب بالوكالة بينهما بعضها لم يتوقف بعد، والتي خلقت اجواءً متوترة وحالة عدم استقرار إقليمي وتداخلات خارجية بالنسبة لمنطقتنا الخليجية والعربية على حد سواء.

بطبيعة الحال هناك العديد من الملفات الشائكة والمتداخلة على مستوى المنطقة، لعل آخرها الملفين اليمني والسوري على وجه التحديد، وما حدث هناك بعد سقوط نظام بشار الأسد وما جرى ويجري من تحولات في عملية ادارة الصراع، ورغبة بعض الأطراف الفاعلة ومنها أطراف مهمة مثل إيران والمملكة العربية السعودية من جانب وتركيا والكيان الصهيوني من جانب آخر في استثمار ما يجري هناك لخلق معادلات جديدة على الأرض تحفظ مصالحها وفاعلية تأثيرها.

لذلك نجد أن أبعاد زيارة أكبر مسؤول أمني سعودي لإيران ولقاءه مؤخراً بالمرشد الإيراني، تأتي كأحد أبرز المؤشرات على تحولات كبرى قادمة للمنطقة، ليست فقط، كما رُوج، للدعوة للقاء مباشر بين الغريمين الأميركي والإيراني يقيم على الأراضي السعودية، وهي زيارة بقدر ما تكشف عن رغبة المملكة السعودية في ترتيب أوراقها جيداً باتجاه استثمار الظرف السياسي الراهن، خاصة بعد وصول إدارة أميركية أقل ما يقال عنها إنها نهمّة، بل جشعة إلى حد الاستخفاف بكل الثوابت السياسية والأمنية لتحقيق مصالحها واستعادة حضورها بشكل يبعد الصين أو أي قوة إقليمية أو دولية أخرى عن الانفراد بأدوات اللعب ونتائجه، لذلك نجدها تحاور الطرف الإيراني وعينها بشكل معلن على الاستثمار بعشرات المليارات في السوق الإيراني، وهو الأكبر والأكثر إغراءاً لها على مستوى المنطقة، يزيدها تهاافتاً رغبة الجانب الإيراني ذاته في تقديم ما يمكنه في مثل هذه الظروف الدقيقة من تلميحات وإشارات معلنّة وهو في مسعاه لتحقيق انفراجة كبرى بالنسبة لملفه النووي وملف الصواريخ الباليستية وملف رفع الحصار ولو تدريجياً، مع رغبة جامعة لديه بتقليص حجم الخسائر والتراجعات في بقية الملفات على مستوى المنطقة واستمرارية الإمساك بها.

لكل ذلك نقول إن نجاح مساعي التوافق الأميركي الإيراني المأمول وما يجري من تحولات في منطقتنا، وهو امر محمود وتحتاجه المنطقة بشدة نحو الاستقرار ومزيد من التنمية والتعاون الإقليمي، هي أمور ستفرض ضرورة إعادة هيكلة المنطقة بأسرها أمنياً وجيو سياسياً واقتصادياً وحتى عسكرياً، وهي لذلك تحتم على دول مجلس التعاون وبقية دول المنطقة أن لا تقبل أبداً أن تكون لاعباً هامشياً في لعبة كبرى، ربما تكلف المنطقة تبعات كبرى في حال بقاءنا فقط في خانة ردّ الفعل وليس الفعل والتأثير الإيجابي في مصير المنطقة بأسرها.



عبد النبي سلمان

**هناك رغبة واضحة لدى الطرفين المتحاورين لخلق حالة مغايرة، كل من منطلقاته الخاصة، عما كانت عليه العلاقة بينهما طيلة العقود الماضية على خلفية التحولات التي فرضت نفسها على معادلة الصراع القائم في المنطقة**

البحر الأحمر وبحر العرب، وتعطل مؤثر لحركة الملاحة وسلاسل الامداد المتجهة والقادمة، علاوة على الخسائر التي تكبدها الولايات المتحدة جراء اشتعال هذه المعابر المائية الهامة، خصوصاً عبر باب المندب، والمخاوف المبررة بالنسبة لاغلاق مضيق هرمز في حال استمرار حالة التوتر دون ضوابط رادعة!

وفي ظلّ الحديث القديم المتجدد حول أهمية وجود هيكل أمني جماعي مستدام على مستوى دول المنطقة، وما يستتبعه بكل تأكيد من عدم السماح أميركياً وخليجياً بالضرورة، من عدم وجود أي فراغ أمني وعسكري على مستوى المنطقة، وفي ظلّ ما أحدثته الهروب الأميركية من أفغانستان من فوضى ومخاوف بالنسبة لصناع القرار في هذه المنطقة، وعلى الرغم من نفي الصين باستمرار لطموحاتها في ملء أي فراغ محتمل بالنسبة لهذه المنطقة الحيوية من العالم!!

حتى نستطيع مقارنة العلاقة وآفاقها دعونا نفهم مغزى (مباغتة) الرئيس الأميركي دونالد ترامب وفي حضور رئيس وزراء دولة الاحتلال خلال آخر لقاء لهما، وهو الرفض على الدوام لأيّ تقارب مع إيران منذراً أحياناً بمسببات الحرب على غزة وأحياناً بمخاطر الملف النووي الإيراني، حين أشار ترامب بوضوح إلى جدية التوجه لفتح حوار مع إيران، مع إبقاء الباب موارباً لفرض ما تريده إدارته بالقوة إن لم تنجح لغة الحوار، قابلته إيران من جانبها بلغة مرحبة مستعجلة خطوات ذلك الحوار، رغم أنها تمسكت بحقها في إنجاز اتفاق شامل ومستدام مع الجانب الأميركي، جاء ذلك على لسان أكثر من مسؤول هناك، فيما لا حظ المراقبون تراجع شعارات العداء الإيرانية التقليدية تجاه اميركا، كالموت لأميركا، واميركا الشيطان الأكبر ولو مؤقتاً على الأقل!

سلطنة عمان التي عملت على خلق وساطات مشابهة بين البلدين من قبل، سارعت وعلى مستويات مختلفة، داعية لاستضافة الجولة الأولى من المحادثات غير المباشرة بينهما في العاصمة العمانية مسقط، أوضحت على لسان مصدر مسؤول عماني كبير لوكالة رويترز، إلى أن «المحادثات بين إيران والولايات المتحدة تهدف إلى تهدئة التوترات الإقليمية وتبادل السجناء والتوصل إلى اتفاقات محدودة لتخفيف العقوبات مقابل كبح البرنامج النووي الإيراني»، وبالمثل نقل التلفزيون الرسمي الإيراني عن المتحدث باسم الخارجية الإيرانية قوله: «نتوقع ألا تستغرق المحادثات مع الولايات المتحدة وقتاً طويلاً»، فيما نقل موقع أكسيوس القريب جداً من مواقع صنع القرار الأميركي عن مسؤول أمريكي قوله إن ترامب مستعد لتقديم تنازلات من أجل التوصل لاتفاق!

من الواضح أن هناك حاجة ورغبة واضحة لدى الطرفين المتحاورين لخلق حالة مغايرة، كل من منطلقاته الخاصة، عما كانت عليه العلاقة بينهما طيلة العقود الماضية، وبالنظر إلى ما أحدثته العدوان الصهيوني على غزة وجنوب لبنان من تحولات فرضت نفسها بوضوح على معادلة الصراع القائم في المنطقة، وما تلا ذلك من تحولات وما حدث من تبعات وخسائر كبيرة واضعاف لمحور المقاومة، وما تلاه من سقوط مدو، بل ومفاجيء لنظام بشار الاسد في سوريا، مما أضعف ويضعف خيارات وأوراق إيران ومحور المقاومة ذاته، وكذلك هو الحال بالنسبة لاستمرار هجمات الحوثيين على حركة الملاحة، من سفن حربية أميركية وبواخر متجهة لدولة الكيان الصهيوني، عبر مياه



(قف)



## الفقر يتزايد والثروات تتراكم

يعتبر الفقر ظاهرة ذات تأثير سلبي على أغلب الفئات الاجتماعية، ويمتد أثره على الفرد والمجتمع ليشكل عبئاً على الموارد والفرص المتاحة، وينعكس على مجمل الحياة الاقتصادية والاجتماعية للأفراد والمجتمعات. في مقال لها، نشرته جريدة الأهالي المصرية، تقول الكاتبة فريدة النقاش، إن العلم فتح أمام البشرية أبواباً جديدة للتقدم والإنتاج المزيد من الثروة، وأخذ عالمياً يزداد ثراء، ومع ذلك فإنه يزداد أيضاً هشاشة، يسعى الفكر الاشتراكي في كل مراحله وممارساته إلى الإمساك بالأسباب الجذرية للتفاوت المتزايد في ثروات البشر رغم الوفرة التي تزداد كل يوم، والتي تواكب، ويا للمفارقة مع زيادة الفقر.



فهد المضحكي

فردية أو قراءات عشوائية، ولكنه يأتي حصيلة تفاعلات وعوامل كثيرة منها الوعي الموضوعي والذاتي وعلى رأسها التقدم المتواصل للإنتاج، والقدرة المتزايدة للعلم على مواجهة معضلات لم يكن من السهل مواجهتها في سياقات أخرى في الماضي، وطالما راهن ملاك الثروات على تأييد الوضع القائم، وفي كل مرة يتكشف لهم أن خسارة الرهان هي النتيجة المحتومة، لأن كل شيء يتغير وما من ثابت إلا قانون التغير ذاته.

ويبقى سؤالنا قائماً لماذا يتزايد الفقر في العالم، وبالذات في عالمنا الذي يسمى نامياً بينما تتزايد الثروات ويفتح العلم آفاقاً بلا حدود لمزيد من زياداتها؟

وهنا نجد المبرر الأعمق والأصدق لصمود الفكر الاشتراكي بكل مدارس ومكوناته في مواجهة ما يبذله أصحاب المصالح من جهود وبالذات توظيفهم للدين دفاعاً عن الأوضاع القائمة، ومهما اتخذ دفاعهم من صور ومبررات وحتى قدرة على الامتناع فهم لا يستطيعون الرد على السؤال الأولي والبسيط الذي يسأله الناس: لماذا يتزايد الفقر بينما تتراكم الثروات؟

لن يتوقف العاملون والكادحون في كل أرجاء العالم عن النضال من أجل الإطاحة بكل أنواع المظالم، بينما يسعى المفكرون والباحثون الذين يتحدثون باسمهم ويدافعون عنهم إلى كشف الأغوار العميقة - بل الراسخة - لأسس الظلم الاجتماعي الذي هو أحد أهم مصادر الشرور والنزاعات في العالم، وكان هو أحد أسباب بروز الظاهرة الاستعمارية القائمة على الاستغلال المركب للشعوب.

ومع ذلك، فإن العالم يتغير إلى الأفضل - رغم كل شيء - إذ لم يكن نضال الشعوب عبر العصور هباء ولا عبثاً، بل كان دائماً الأساس الصلب للمسعى الشريف للإطاحة بالأوضاع البائسة ومن أجل عالم ترفرف عليه رياات الحرية والسعادة لكل الشعوب.

تابعنا على امتداد تاريخ البشرية ذلك الصراع الذي لم يكن نادراً أن يؤدي لإندلاع الحروب، وكانت جذوره غالباً ما تضرب أرض الانقسام الطبقي، وهو الانقسام الذي أدى إلى استحواذ فئات قليلة على غالبية الثروات، وبطبيعة الحال استماتت هذه الفئات في الدفاع عن امتيازاتها، وتراكت عبر تاريخ الإنسانية الأدبيات التي سعت لتبرير هذا الانقسام، وبرعت في تبريرها حين نسبته إلى الله باعتباره هو الذي قسم الأرزاق، وجعل الأغنياء أغنياء والفقراء فقراء.

ولهذا كله أصيب ملاك الثروات بالذعر حين أخذ الفكر الاشتراكي العلمي يكشف عن أصول التوزيع الجائر للثروات داخل البلدان، وبين هذه البلدان وبعضها البعض، وتسبب التراكم الهائل للثروات في أيدي قليلة في تنشيط وتغذية الماكينة الأيديولوجية التي تبرر وتؤكد وجهة نظر أصحاب المصالح.

وكما يدلنا تاريخ البشرية فإن الشعوب لم تقبل هذه التبريرات ونشأت الحركات النضالية والفكرية التي وضعت نصب عينيها تغيير الواقع كاشفة عن ما فيه من ظلم وتمييز. ولا تكف القوى المتنفة على الصعيدين العالمي والمحلي عن مراكمة المبررات، وبخاصة توظيف الدين لتبرير الأوضاع القائمة باعتبارها هي الأوضاع الطبيعية، وكافحت القوى المدافعة عن حقوق الناس، أو بالأحرى حقوق الأغلبية من أجل كشف تزيف الحقائق رافضة الإقرار بأن هذا الواقع هو أمر طبيعي، لأنه من السهل جداً تقبل الأمر الطبيعي وهو ما اعتاد عليه الناس.

ثبت على مدار التاريخ - الحديث فيه على الأقل - أن تغيير الأفكار وهو أصعب الأهداف وأكثرها تعقيداً في مشروع أي تغيير. كما ثبت أيضاً أن تغيير الأفكار ليس عملاً عشوائياً أو انبثاقاً قديراً، بل هو حصيلة تراكمات واسعة النطاق، جرى التفاعل فيما بين مكوناتها وبين الظروف التي نشأت فيها. ولا يتم التغيير في الواقع الاجتماعي والسياسي استجابة

# سينما رياض



مع رياض خميس في ندوته بالمنبر التقديمي

من ذكرياتي التي لا تنسى مع السينما، عندما كنت طالبة في جامعة القاهرة في أواخر سبعينيات القرن الماضي، أني كنت انتهر الفرصة المتاحة بين محاضرتين، إحداهما في الصباح والثانية في المساء، لكي التحق بالعروض الصباحية في دور السينما أو عروض ما بعد الظهر. وقتها كانت القاهرة تستضيف بين الغينة والأخرى أسابيع للسينما العالمية: أمريكية وفرنسية وإيطالية وغيرها. أتاح لي ذلك حضور طيف واسع من الأفلام الرائعة والمتنوعة التي مثلت في ذلك الوقت أعظم انتاجات السينما الغربية، حيث أفلام الجوائز والأوسكارات، عندما كانت السينما في أوج مجدها. بعد أعوام طويلة تكررت الفرصة بالنسبة لي، ولكن بشكل آخر، مع "سينما رياض خميس"، فكيف حدث ذلك؟ وماهي سينما رياض؟

مستجدياتها، ومن هنا نشأت لديه فكرة تأسيس سينما في بيته، فاقتنى أول جهاز اسقاط "بروجكتر"، وساهم أيضاً في تأسيس وترتيب واصلاح عدة "سينمات" منزلية لطالبي هذه الخدمة.

في منتصف السبعينيات افتتح أول محل لتأجير الأفلام ذات الجودة العالية لخلق سوق مغايرة غير تلك المعتمدة على الأفلام الرديئة المقرصنة، ولاقت اسطوانات الليزر رواجاً فتوسّع وانتشر وتعددت الفروع، بيد أن انتشار أفلام الـ"دي في دي" مترادفة مع القرصنة الإلكترونية منذ الألفية الجديدة كانت المعول الذي ضرب تجارة تأجير الأفلام، إذ أتاح ذلك للمستهلك الحصول على عدة أفلام بسعر دينار واحد.

اتجه رياض لاحقاً، مستفيداً من كل خبراته السابقة، للعمل لدى وزارة الإعلام في الرقابة على المصنفات. صار عاشق السينما رقيباً على الأفلام، يقطع ويمنتج ويكتب تقارير عن الأفلام ومحتواها، ومبررات المنع وفق المعايير المتداولة في تلك الفترة. كان رياض يجول في الأسواق ليرى أن الفيلم الذي تمنعه الجهات الرسمية يُباع مفرصناً بدينار واحد في السوق الشعبي، وهكذا كسدت تجارة الأفلام الأصلية وأغلق رياض محلاته.

في الندوة المذكورة تطرق رياض إلى بعض الأفلام التي أحدثت تغييراً في القوانين، وساهمت في خلق واقع جديد. مثال على ذلك ما حدث في كوريا الجنوبية عندما تمّ عرض فيلم سينمائي يتطرق إلى استغلال الأطفال الصغار جنسياً من قبل المسؤولين والأساتذة في المدارس الخاصة. انفجر الشارع الكوري وتم فتح تحقيقات وجرت مناقشات بين أعضاء البرلمان الكوري، فقامت الدولة بسنّ تشريعات لوقف التعدي ومحاكمة المتسببين والجناة بأشدّ العقوبات.

عن مستقبل السينما تحدث رياض قائلاً إنها ستكون غرفة أو صالة عرض داخل مخ الإنسان، أي بلا شاشة سينما، والطريق إلى ذلك سيحتاج فقط إلى قطعة صغيرة توضع على الجبين وموصولة بجهاز كمبيوتر متطور، يختار فيها المشاهد نوع الفيلم والممثلين الذين يرغب في مشاهدتهم، بل والنهاية التي يريدها وهو مستقل على سرير، وثمة علماء ومستثمرون ومغامرون يشغلون الآن على هذه التقنيات الجديدة المخيفة والتي يصعب تخيلها.

إن تقنيات الذكاء الاصطناعي لن تقتصر على السينما وحدها بل ستشمل كل مناحي الحياة حيث سنعيش ونأكل ونشرب ونسافر ونتبضع ونمارس اللعب والترفيه ونأخذ معنا اصدقاءنا في رحلات على البحر وتقنيتي منازل في الغابات وكله في الخيال والوهم، فأَيّ عالم ينتظرنا؟

دخل رياض خميس إلى عالم السينما من باب الاهتمام والتعرف على هذا العالم الساحر، عالم السينما التي عشقها صغيراً، وشكّلت حياته ومصدر سعادته وورقه، بل إنه صمم وبنى بيته لاحقاً انطلاقاً من حبه للسينما ومن رغبته في تخصيص مساحة لها في قلب بيته وبين أسرته وعائلته، حيث خصص الطابق الأسفل، "السرداب"، كما يطلق عليه، لإنشاء دار سينما صغيرة ذات مدخل مستقل، احتوت على كل أقراص الافلام التي جمعها رياض طوال حياته، والتي تربو على 5000 فيلم. هذه المكتبة السينمائية الجميلة هي إرث رياض وذكرياته وتجاربه مع الأفلام ومع رواد "سينما رياض" من أهله وأصدقاءه وزملاء عمله والأهم من ذلك مع المهتمين والمحترفين بالسينما الذين شكّل رياض مرجعاً مهماً لهم.

يقضي رياض جل وقته في صومعته السينمائية، ينسى نفسه تماماً، ولا يفكر إلا على وقع التعب أو الجوع، بعد التقاعد صارت هي بيته الأول، وستتحول هذه المكتبة لاحقاً إلى منصة رقمية على "انستجرام" باسمه، يختار ويعرض من خلالها الأفلام التي يحرص على انتقاءها. لقد كنت مجرد زائرة لسينما رياض لكنني تحولت لاحقاً إلى مواظبة أسبوعياً على مشاهدة أحدث الافلام فيما أطلقنا عليه سينما رياض.

وفي الندوة التي قدّمها رياض في المنبر التقديمي في مطلع شهر فبراير الماضي، أخذنا إلى أجواء سينما الستينات والسبعينات وتقاليدها ونوع أفلامها ورواها، والقصص والطرائف التي جرت فيها، وشرح كيف تعرّف على السينما منذ كان طفلاً في السادسة من عمره من خلال سينما بابكو التي كانت وقتها تعرض أفلام جيمس بوند، ثم في الطريق من البيت إلى المدرسة استرعت انتباهه إعلانات الأفلام، اقترب منها ودخل إلى سينما اللولو والحمراء والزبارة والزباني والنصر. خصص نصف مصروفه اليومي لارتياح الأفلام المعروضة في ذلك الوقت.

يقول رياض إنه كان يشاهد وقتها ستة أفلام يومياً، وانصرف نحو الهواية التي وجد فيها شغفه، بل إنها شكّلت مسيرته الحياتية وتجارته. خريج مدرسة السينما عبر المعاشية والتجربة ساعدته لغته الانجليزية ومهارته في التعاطي مع الأجهزة الإلكترونية والكمبيوتر وكل ما تطرحه الأسواق من منتجات تساعد على عمله، ولاحقاً سيتعلم رياض فنّ تفكيك الأجهزة وإصلاحها وإعادة تركيبها دون الإستعانة بأحد.

مع دخول عصر الفيديو وانتشار موضة تأجير الأفلام غرق رياض في مشاهدة الأفلام والقراءة عنها، ومتابعة الدوريات والمجلات والوثائقيات حول



عصمت الموسوي



## الحاج علي محسن زهير..

# الهامش بوصفه مَتْنًا مُحتملاً



عبدالله زهير

ثمة من يستنقص الكتابة عن شخصية ليس لها تلك الشهرة المعتبرة، فربّ قائل: هل هو تاجر أم وزير؟ أكان مفكراً أم كاتباً؟ أم ماذا بالضبط؟

ما أعجب هذه الاستهانة بقيمة الإنسان العادي! فهل من الضروري أن يكون الشخص مشهوراً لكي يستحقّ الكتابة في سيرته؟ وهل من المفترض أن يحتكر أكابر القوم وحدهم مساحات الكتابة بعد أن استحوذوا على مساحات الثروة والسلطة والمجد؟ إنني أرى العكس تماماً. ينبغي للكتابة أن تُعنى بطبقات الشعب المختلفة، خاصةً تسليط الضوء على البسطاء وحيواتهم. إنّ للهامش أهمية تضاهي المتن، وربما تفوقه أهمية. بل إنّ الهامش يُظهر فجوات المتن وتناقضاته وتعثراته. لمجتمع الهامش جماليات تكشف احتمالات المتن وتراثياته، بل تشير إلى نزوعه الطاغى نحو الغلبة وشره الاستملاك رمزياً ومادياً..

في ظني لو قدّر للحاج عليّ أن يتلقّى نصيباً من التعليم الجامعي لم يكن ليكتفي بما وصل إليه، وكان مساهماً بصورة أكبر وأعمق في تحقيق ذاته وتطوير مجتمعه، خاصة في ظل حاجة المجتمعات آنذاك للكفاءات المهنية المتعلمة؛ نظراً لندرتها إلا عند العوائل الأرستقراطية والبرجوازية الصاعدة في تلك السنوات العجاف.

إنه نموذج متفرد للعصامية وحبّ العمل وتكران الذات، كحال أبناء جيله المتواضعين البسطاء. لم يكن التواضع كلمات تلوكها الألسن، إنها طريقة حياة كاملة.

كانت الأمية متفشية على نحو واسع، إلا إنّ قيم العلم وقيمة التعلم كانتا راسختين في العقول والنفوس. أتذكرني في عمر المراهقة، وكنت في المرحلة الإعدادية (المتوسطة) إبّان التسعينيات، كثير الهروب مع أقراني من حصص المدرسة. نتسلق أسوارها، ثم نتناول إفطاراً صباحياً دسماً في مطعم قريب، وبعدها قد نتفياً نخلة في إحدى المزارع التي تكاد تكون مشرعة لأمثالنا من المغامرين المتسكعين. حينما كثرت الشكاوى إلى والدي حول هذا التسرب المتكرر من المدرسة، لم يكن يستخدم أسلوب الضرب أو الزجر أو التوبيخ، كعادة الآباء الأوائل من ذلك الجيل القديم. وإنما قدّم لي نصيحة ذهبية لا يزال صداها يتردد في أذني وذاكرتي: «إنّ تعلّمت فإنك تنفع نفسك ولا تنفعني في شيء، وإنّ لم تتعلّم فأنت وحدك المتضرر.. فاختر ما تراه مناسباً».

كان هذا الأسلوب التربوي الديمقراطي، من رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب، مفاجئاً حيث أتى خلاف أفق التوقعات من جانب، وكان، من جانب آخر، كافياً لأنّ أخذ الأمر بالجديّة اللازمة مختاراً، ولأعود مواظباً إلى مقاعد الدراسة باقتناع كامل.

كان، في أغلب الظن، من مواليد عشرينيات القرن العشرين. لقد كتبت في جواز السفر أن تاريخ ميلاده 1928م، لكن ليس معروفاً إنّ كان هذا التاريخ حقيقياً أم لا؛ فقد كانوا يسجلون - حينذاك - شهادات الميلاد وبيانات الجوازات والوثائق الرسمية المختلفة بشكل تقديري، غير متحرّين للدقة والضبط. لا أحد كان يسأل أحداً على أية حال. كانوا على فطرتهم متوغلين في فطرة الحياة والطبيعة. لم تكن تعنيهم القواعد الدقيقة والإجراءات المعقدة في المعاملات الرسمية، لا هم ولا الموظفون. 1928م إنّ لم يكن سوى رقم عشوائي سجله موظف حكوميّ في زمن لم تكن فيه الثقافة البيروقراطية مترسخة بعد؛

فالناس يومها كانوا يُقاسون بمدى إتقانهم للحرفة وشغفهم بالعمل لا بالأوراق الثبوتية. يزدون أو يُنقصون عشوائياً، بحسب الأمزجة، أو بحسب ما تتطلبه شروط العمل هنا أو هناك. البعض منهم يزيد في عمره من أجل أن يعمل في بعض الشركات الناشئة التي أسسها الاستعمار البريطاني؛ أبرزها بابكو (1929)، وألبا (1969). فيما بعضهم يُنقص في العمر من أجل الدخول إلى المدرسة الابتدائية أو لأسباب أخرى. هكذا يمكننا القول إنّ عمر الحاج عليّ الحقيقي قد يزيد أو ينقص بضع سنوات، إلا أنه في المحصلة تسعينيّ أوشك أن يبلغ المائة أو ربما بلغها.

كانت المساحات في هذه القرية الهادئة (العكر) تملؤها النخيل والبساتين. لا تنتهي الخضرة إلا قريباً من ساحل البحر. الزرقة والخضرة تغذيان حيواتهم وأبصارهم. رزقهم اليوميّ ينحصر في هاتين: البحر والبستان. إنهم من يفاعلة العمر يشغلون في إحداهما أو كلاهما معاً. لقد عمل فيهما بالتأكيد لمدة ليست بالقصيرة، قد تُقدّر بعشرات السنين، ولكنه كان يتردد على العاصمة عندما التقى بأحد المدراء الإنكليز في شركة ألبا (ألومنيوم البحرين).

ألقي عليه النحية، ثم سأله الإنكليزيّ: "are you looking for a job?"

أجاب بالإيجاب، وإنّ كانت لغتهم الإنكليزية المكتسبة مكسرة؛ لبحاظ أنهم تعلموها بالدربة والممارسة من غير أن يتعلموها في المدارس. لم تكن المدارس الحكومية قد وصلت إلى نواحي هذه الأرياف التي تبعد عن العاصمة حوالي 30 كيلو متراً، ناهيك عن صعوبة وسائل المواصلات الحديثة. قلائل جداً من حالفهم الحظ في هذه المناطق وتحصلوا على التعليم الرسمي في تلك الفترة، ولم يكن الحاج عليّ من بينهم مع الأسف الشديد.

هكذا يُعتبر الحاج عليّ من أوائل من عمل في هذه الشركة العتيدة كمشغل للمعدات أبان السبعينيات (Equipment Operator إلى سنة 1989؛ حيث تعرّض إلى إصابة كادت تقعده عن العمل بشكل نهائيّ. لقد سقطت عليه وهو يسوق عربة المعدات قطعة ألومنيوم كبيرة. نُقل على أثرها إلى المستشفى لتُجسب أغلب أطرافه. منحه مسؤوله الذي كان إنكليزياً في الغالب تقاعداً مبكراً بامتيازات وراتب مجزيّ. لم تفتر همته بعد أن شفي تماماً من إصابته القاسية. كان، كأبيه الحاج محسن، رجلاً مكافحاً مُحباً للعمل والكّد وتحصيل الرزق

بشتى السبل. يُقال إنّ أباه (الحاج محسن) كان يعمل في صيد الروبيان والسمك حتى وهو في الثمانين من عمره. وهو الآخر عمّر طويلاً، إذ وافاه الأجل متأخراً في يوم الجمعة الموافق 31 مارس من عام 2000.

لقد اقتفى الحاج عليّ خطي أبيه في حبّه للعمل في جميع الظروف والأحوال ما دام قادراً على أن يقف ويتحرك. ولكنه اشتغل في شراء السمك بالجملة وبيعه بالتجزئة (جزّاف). يستيقظ في الفجر الباكر، يصلي صلاة الصبح، ثم ينطلق مباشرة نحو السوق المركزي بالمنامة العاصمة. يشتري ثلاثة أو ثلاثة ونصف أو ثلاث (قد تزن الثلاثة ثلاثين لتراً/ كيلو غراماً) من السمك البحرينيّ يومياً، بأنواعه المختلفة (الصافي، الكنعدي، الميدي، الشعري... إلخ). ثم يبيعه في دكان (قرشة باللهجة العامية) صغير في سوق سترة للأسماك، أو إذا تطلب الأمر يبيعه متجولاً في الطرقات والأزقة في سترة وما جاورها من مناطق. قد يعود يوماً عند الظهيرة حينما يبيع جميع ما لديه، أو قد يعود عصراً أو في العشية عند غروب الشمس، بحسب ما تفرضه حركية بيع الأسماك. لم تخذله صحته الجسدية إلا مؤخراً قبل بضع سنوات (قبل تسع سنوات تقريباً)؛ ففرضت عليه الجلوس مُقعداً في البيت. لربما استيقظت في هذه المرة الإصابة الشديدة التي اعترضته في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي (وخاصة في مفاصل الركب)، وإن كان يبدو أنه قد تعافى منها تماماً بعد حصوله على التقاعد المبكر من شركة ألبا كما سبق ذكره.

كانت حياته مرآة عاكسة لتحولات المجتمع البحرينيّ في القرن العشرين: من حياة بسيطة في القرية، إلى الانخراط في مصانع الخامات المواد الأولية (الألومنيوم)، ثم الاتجاه إلى العمل الحرّ.

تزوَّج الحاج عليّ مرتين؛ إذ اضطر بعد أن عانت الأولى من فقدان البصر أن يتزوج الثانية. أنجبت الأولى أربعة (3 ذكور وبنات واحدة). وقد توفيت الزوجة الأولى سنة 2010. أما الثانية فلها ثمانية ذكور تتوسطهم بنت واحدة. وله من الأحفاد وأبناء الأحفاد الكثير..

وها قد ترجّل الوالد الحاج عليّ، بعد أن كابد وعمل ولم يتوان، جداً واجتهاداً وتفانياً في ورشة الحياة الهائلة. قد رحل إلى ملكوت الرحمة في صباح يوم السبت الموافق تاريخ 15 مارس 2025. ولا أظن هذه المساحة كافية لتقول ما يعتلج في نفسي بعد رحيله.

كفى!

# كيف لليبرالية الجديدة أن تدمّر البشر والطبيعة؟

سنتحدث في هذا المقال عن أحد الكتب الحديثة المهمة، الموسوم بعنوان صارخ: «كفى! كيف لليبرالية الجديدة أن تدمّر البشر والطبيعة» تناقش فيه الباحثة النرويجية «لين ستالزبيرغ» موضوع الليبرالية الجديدة وما تحدثه من أثر على حياة البشر عبر التغلغل في أدق تفاصيل الحياة اليومية، وكيف أصبحت الشركات تسيطر على الكثير من مقدرات الشعوب وتستحوذ على قرارات الدول التي يُشترط أن تعمل وفق مبدأ السوق الحر، السوق فوق كل شيء. وهو من الكتب الفكرية/الاجتماعية التي تهتم بالإنسان كثيمة أساسية وتطرح موضوعاً مصرياً مهماً بأسلوب سهل، وضّغ بطريقة يمكن أن يفهمها الجميع بهدف إيصال معلومة عن الفكر السائد الذي يسيطر على العالم لأكثر عدد ممكن ونشر الوعي به. ويتبع الكتاب سيرة الرأسمالية كنظام سياسي/اقتصادي والتحول الجديد الذي طرأ عليها في نسختها الحديثة التي تعرف بالليبرالية الجديدة.

إيديولوجيا رأس المال (فائض القيمة) وكشف عن الفروقات الجوهرية التي تحدّثها الرأسمالية على النسيج الاجتماعي ودورها في ازدياد التفاوت الطبقي الذي هو من صميم تركيبها البنوية، ثم مدى استغلاليتها وانتهاكها لحقوق العمال.

نرى اليوم بشكل واضح كيف تطوّرت الرأسمالية ووصلت إلى مستوى الليبرالية الجديدة، التي تعمل على الطريقة المكيافيلية؛ الدولة في خدمة السوق فإذا شاءت السوق الأمريكية مثلاً إشعال حرب في مكان ما لإضعاف اقتصاداً وسياسياً حتى يسهل استغلاله وتحويله إلى مستهلك للسلع الأمريكية فإن الدولة ستنفذ هذا النوع من الحروب حتى وإن كان غالبية الشعب لا يوافق، تخنفي الديمقراطية أمام إرادة السوق وسياسة الهيمنة فتكون مجرد وسيلة للإلهاء.

وما يحدث اليوم في غزّة جزء لا يتجزأ من فرض عقيدة السوق التي يطمح شياطينها للهيمنة المطلقة على العالم سياسياً واقتصادياً بل وفكرياً. ومع تنصيب التاجر الجشع رئيساً للولايات المتحدة، الملياردير الذي تشرب عقيدة السوق الحر وثقافة الليبرالية الجديدة، من ذات المنطق العقائدي يريد تحويل غزّة إلى منتج سياحي يدرّ عليه وعلى أقرانه الأموال الكثيرة ضارباً عرض الحائط كل القيم الأخلاقية والأعراف الإنسانية التي تترتب عليها فكرة إجرامية من هذا النوع من إبادة السكان المحليين وتهجير من تبقى منهم. وكما شرّعوا إبادة الغابات وتدمير الطبيعة ليتسنى للسوق أن يمارس عمله بحريّة دون قيود أو معوقات هاهم يشرّعون إبادة الإنسان والمُدُن تحت نفس الذرائع!

نعم قد نعيش حياة رغد من الناحية المادية فيما يخص الخدمات والرعاية إلا أن نظام الليبرالية الجديدة يقاوم حالة اللامساواة فإن الحياة الرغيدة التي يعيشها الكثيرون غالباً ماتكون على حساب معاناة أناس أكثر في بلاد

الجديدة باعتبارها نظاماً سياسياً اقتصادياً تطبّق من خلاله الدولة نظام «فكر السوق» على معظم مجالات الحياة، بما في ذلك خدمات الرعاية الاجتماعية مثل رياض الأطفال ودور رعاية المسنين. وهناك من يربطون مصطلح الليبرالية الجديدة بمصطلح الاستهلاك، وأولئك الذين يستغلون الإعلانات واللافقات الموجودة في كل مكان ويفكرون في كيفية استغلال مخاوفنا وعدم ثقتنا في أنفسنا، والاستفادة من كل ذلك في جني المال. يمكننا أن نرى أثر ذلك حينما نجد أنفسنا ننساق وراء تلك الفتق وننفق الأموال لكي نغيّر من شكلنا وشكل أجسادنا.

النيوليبرالية السياسية/اقتصادية هي التي تحكم العالم اليوم عبر ممثليها الولايات المتحدة التي تحتكر السوق، إنها إيديولوجيا تعطي الحرية الكاملة للسوق، تستقي مفهومها الأساسي من الرأسمالية التي تبني على فرضية مفادها أنه كلما ارتفعت أرباح القطاع الخاص فإن ذلك سيعود بالفائدة والرخاء على الجميع، وبالتالي ترى أن من واجب الدولة تيسير الأمور التي تجعل الأثرياء أكثر ثراءً! على أمل أن الثراء إذا تضاعف بتضاعف رأس المال سيعود بالأثر الإيجابي على الطبقات الأقل ثراءً والطبقات الفقيرة، وأن المنافسة ستزيد مما يعزز الإبداع والابتكار للجميع إلى أن يعم الرخاء والاستقرار. في البداية شعر كارل ماركس بإيجابية تجاه الفكرة القائلة على التنافس العادل بين الجميع الذي سيساهم، بدوره، في الإبداع والرفاه والمساواة كما كانت تدعي الرأسمالية، ولكن عندما رأى مستوى الجشع عند الرأسماليين الذين بدأوا باحتكار وسائل الإنتاج، وازدياد التفاوت بين طبقات المجتمع وعدم المساواة بحيث إن الأثرياء أصبحوا أكثر ثراءً وأكثر صلاحيات وحماية قانونية والفقراء أكثر فقراً وتهميشاً، أدرك ماركس مبكراً الأسس الحقيقية التي تقوم عليها الرأسمالية، وسعى إلى تحليل ونقد

في مقدّمة الكتاب تحاول الكاتبة تقديم فكرة عامة عن الليبرالية الجديدة، ثم تأتي على تفكيك الموضوع تدريجياً عبر فصول الكتاب، وتنطلق من فكرة شائعة في عصرنا وهي أن مدرب فن العيش life coaching عنده المفاتيح السحرية وبإمكانه أن يقدّم حلولاً لكل المشاكل الحياتية للأفراد وفق ما يرضي السوق ويزيد من مداخل جيبه، حتى أن المكتبات امتلأت رفوفها بالكتب من هذا اللون التي توصف بأنها الأكثر مبيعاً ويروج لها وتعرض في الواجهة، منها على سبيل المثال كتب تقدم مقترحات عن مشكلة ضيق الوقت، وكيفية التخلص من التوتر اليومي، وعن زيادة الكفاءة في العمل، وكيف تصبح أبا أو أما أو حبيباً أفضل، وتقدم دروساً عن كيف يمكننا الحصول على إعجابات أكثر على وسائل التواصل، وكيف يمكن لشخص استهلاكي أن ينقذ الطبيعة من الدمار... الخ، وحتى لو لم تستطع قراءة هذه الكتب فستجد العديد من المحاضرات على موقع اليوتيوب وستجد الآلاف ممن يتابعونها ويتفاعلون معها، كما يتابعون الأشخاص الذين يروجون للألعاب. تضعك هذه المحاضرات أمام مازق الأمر الواقع وأنت وحدك سيد قراراتك، عليك أن تكون أفضل دائماً، لكن أياً من هذه الكتب لا يُعلّمك التفكير بشكل نقدي تجاه سياسات المنظومة العالمية، السياسات التي هي سبب المشكلات التي نتحدث عنها العناوين المشار إليها في تلك الكتب والمحاضرات، كنّب الغاية منها أن تدفعنا نحو التأقلم والاستمرار في تلبية متطلبات السوق.

تذكر ستالزبيرغ في المقدمة أيضاً أن عبارة الليبرالية الجديدة تشير إلى: «النظام الاقتصادي الذي أنشأته رئاسة الوزراء البريطانية مارجريت تاتشر من جهة، والرئيس الأمريكي رونالد ريجان من جهة أخرى فكثير من الناس يطلقون مسمى «أصولية السوق» أو «ليبرالية السوق» على هذا النظام وينظرون إلى الليبرالية



حسين آل ربيع





أخرى وعلى حساب كوكبنا الذي لايسعه احتمال نمط حياتنا اليوم.

نحن نشهدُ مرحلةَ هيمنةِ الإيديولوجيا الليبرالية حتى على كامل أسلوب حياتنا اليومية وقد لا نشعر بها لأننا الآن نتحرك داخلها. من مظاهرها: ازدياد حدة المنافسة على جميع المستويات ولما لذلك من أثر على الحالة النفسية والعلاقات الشخصية والاجتماعية للأفراد. وهيمنة الشركات التجارية على حياة الناس وإعطاء الصلاحيات لصاحب العمل على حساب العمال، خصوصاً مع تراجع الدور الفاعل والحقيقي لنقابات العمال عالمياً. واعتبار قيمة الإنسان من خلال قدرته على الاستهلاك والتملك؛ قد يؤدي ذلك الى غياب المعنى وغياب الاهتمام بالقضايا الإنسانية والأخلاقية الصغرى ناهيك عن الكبرى، وكأنَّ مهمة الإنسان الوحيدة في هذه الحياة هي التسويق والترويج لنفسه الى أن صار الإنسان هو الموضوع والشئ معاً. واستقطاع المساحات الزراعية وتدمير البيئة لأجل الإستثمارات الإقتصادية وإنشاء مصانع تنتج مواد كيميائية وتنتشر الأبخرة الضارة في الجو... كل ذلك وأكثر مما نعيشه اليوم إثر تعاظم قوى السوق وتطبيع أخلاقيات السوق على الجميع حتى صارت السائد العام الذي يصعب جداً انتقاده وتفكيكه.

وفي هذه الثقافة السائدة يتم وضع اللوم في الاخفاق أو النجاح على الفرد وحده بحيث يوهَّم بأنه هو المسؤول الوحيد عن اختياراته، والواقع ليس كذلك إذ أن المنظومة السياسية/اقتصادية هي التي تحدد للفرد اختياراته عبر الدعاية والموضة و"الترند"...الخ، تضعه أمام اختيارات مسبقة حتى فرضت عليه مستوى عالٍ من المنافسة المستمرة، حدة المنافسة وازدياد القلق والتوتر أدى الى خلق حالات مرضية كالإكتئاب والإرهاق النفسي والعقلي، والذي يتم معالجته عبر عقاقير ومصحات تجارية تحرك بدورها سوق تجارة العقاقير الطبية متعاظمة الأرباح، أضف الى ذلك مفهوم النجاح الذي انحصر تماماً في البُعد المادي حيث أصبح التعريف الوحيد للنجاح بأنه الشخص الذي يراكم أكبر عدد ممكن من الأموال والمناصب والممتلكات مع أن هذا ليس شرطاً ضرورياً للمفهوم الحقيقي للنجاح.

لا أحد ينكر أن البشرية وصلت إلى مستوى من الرفاه والتطور الصناعي/التقني غير مسبوق، المنتجات الاستهلاكية التي تريح البشر في كل شيء تقريباً كثيرة جداً، هذا

بحد ذاته خلقَ مشكلةً جعلت من الإنسان كائنًا استهلاكياً يعتمد اعتماداً كلياً على المنتجات الاستهلاكية من أصغرها شأنًا إلى أكبرها، كائنٌ لايمكنه أن يعيش من دون هذه الأشياء، وهذه الأشياء تأتي من مصانع تستغل الإنسان في كثير من الأحيان استغلالاً تعسفاً بل إنها في بعض الدول تستغل الحاجة والعوز عند الفقراء لتجعل منهم عمالاً يقضون نهارهم باليل في صنع أشياء تعود عليهم بمال زهيد جداً مقابل ما يتحصل عليه صاحب رأس المال من تراكم ضخّم للأموال، خذ مثلاً تجارة النسيج في الدول الفقيرة مثل الهند وبغلادش وغيرها، بحيث تعمل الأسر الفقيرة في صناعة النسيج لسنوات طويلة ولايزدادون إلا فقراً والتاجر ثراءً. والطامة الكبرى أن معظم الشركات العالمية تساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في دعم أبشع إبادة جماعية حاصلة في غزة، وقد يعود سبب استصعاب شريحة ليست قليلة من المجتمع لفكرة المقاطعة التجارية إلى اعتمادهم المتفاقم وانغماسهم في الثقافة الاستهلاكية، ثقافة "البراند"، رغم توفر البديل المحلي للكثير من المنتجات. إذن فالليبرالية الجديدة نظام يدمر الحياة العملية للعمال بحيث يعطي السلطة الكاملة لصاحب العمل ويحتكر صناعات بعينها ويروج لأحلام وصور جميلة خيالية لذلك

المستقبل الذي سيجعل العمال أثرياء والبلدان المدمرة مزدهرة وكل ذلك بهدف تسريع عملية الإنتاج وتعاظم الإمبريالية. المشكلة كما ترى ألين مؤلفة الكتاب تكمن في أننا نقبلنا الليبرالية الجديدة وابتلعنا مرارتها لأنها ارتبطت بالحرية، بحيث أصبح الحديث عن الحرية مرادف للحرية في الاستهلاك والتملك عبر التمويل والبنوك. استتقت الليبرالية الجديدة تصوراتها من آدم سميث المنظر للرأسمالية إذ أن الحرية عنده تتمثل في تمكين الفرد من حرية الاختيار واتخاذ القرار من دون تدخل الدولة «ومن ثم أصبح السوق بالنسبة لسميث دليلاً على المجتمع الحر، فهذه الصلة الوثيقة بين السوق والحرية هي سبب من الأسباب التي جعلتنا نقبل ونتأقلم مع كل السلبيات التي تنتج عن نظام السوق الحر».

وعن تغلغل الليبرالية الجديدة في كل مناحي الحياة وتداعياته تقول ستالزبيرغ أيضاً: «نرى كذلك انعكاساً لليبرالية الجديدة في قطاع الصحة عندما يتعامل موظفو قطاع الصحة مع المرضى وفقاً للقيمة المادية التي يقدمها المريض، أو عندما تُترك خدمات الصحة للقطاع الخاص، الذي همّه الرئيس هو جني المال. فعندما يتحول الفرد من كونه «مریضاً» إلى «مستهلك» فهذه في حد ذاتها إشارة إلى

أن سياسة الليبرالية الجديدة قد تغلغلت داخل قطاع خدمات الرعاية الاجتماعية، وخلقت مفاهيم وعبارات جديدة وأثرت في نظرتنا لقطاع الرعاية الاجتماعية ونظرتنا بعضنا لبعض. في ذات الوقت الذي يتم فيه الترويج لحرية الاختيار والتفكير بشكل مستقل فردي، نعيش حالة نمطية غير مسبقة من ناحية الاختيارات الشخصية والشكل والمظهر الخارجي بل وحتى الفكر والتصورات والأحلام.

باتت طريقة سير الكثير من السياسات الإمبريالية اليوم من اعتداءات ومحاولات للسيطرة على مقدرات الشعوب وعلى الموارد الطبيعية بالخداع وإن لم يكن فالحرب، من الأشياء الشائعة. تتعامل الولايات المتحدة مع العالم وفق أخلاقيات السوق، الهدف هو المصلحة والربح وتحقيق أعلى قيمة ربحية ممكنة مهما يكن. تقول لين ستالزبيرغ: «كفى!»، وتقول لا بديل أمام البشرية سوى استبدال الليبرالية الجديدة والرأسمالية بأنظمة تحفظ للإنسان إنسانيته وعمق جوهره وترى أن ذلك ممكن، ولكنه يحتاج إلى وقت طويل ورفع وعي الشعوب، وأن الحلول الترقية غير مجدية لأن البنى الرأسمالية القديمة غير مجدية لأن البنى الإيديولوجية لكلا الفكرتين تقوم على حرية الاستغلال!.



جوليتا فوبي



تيريزا ميروني



تيريزا نوشي



اطفال إيطاليا ضحايا المجاعة

من وحي حروبنا الأهلية العربية

## «قطار السعادة» الذي أعاد لإيطاليا وحدتها

العائلات في الوسط والجنوب بإرسال أطفالها إلى الشمال في وقت لم يكن فيه هناك إنترنت يختصر المسافات بمنشور وبضغطة زر.

لتنفيذ الفكرة في الواقع كان لابد من أيادي للعون، كان أول من قدمها الحزب الشيوعي الإيطالي المعروف بـ «بي شي PCI» والذي كانت يجمعه وحركة اتحاد نساء إيطاليا تقارب في الرؤى والأفكار، كون نسبة هؤلاء السيدات في الأصل حركة مقاومة ومطالبة بالحقوق، وامتدت أيادي العون أيضاً من بعض الأحزاب الديمقراطية والمنظمات المدنية واليسار المسيحي، فسافر ممثلهم مع اتحاد السيدات شمالاً وجنوباً عاكدين لقاءات تنويرية حتى أصبحت الفكرة حقيقة حية. انطلق أول قطار يحمل أطفال الوسط إلى الشمال من ميلانو في العام 1945 وعلى متنه 1800 طفلاً، ثم أعقبه قطار من تورنتو إلى الشمال على متنه 1000 طفلاً، يزيدون أو ينقصون قليلاً. أعقبه قطارات من نابولي.. في نابولي واجهت هذه القطارات معارضة شديدة من المجتمع الكنسي الذي حاربها بكل طاقاته من تحريم وتشويه فنشر الدعايات والمزاعم بأن: «هؤلاء السيدات برفقة الحزب الشيوعي يأتون لأخذ الأطفال وبيعهم في الاتحاد السوفيتي»، «الشيوعيون يأخذون الأطفال ليبدلون عقيدتهم»، وكانت أكثر دعاياتهم تطرفاً والتي كانت موجهة إلى الأطفال أنفسهم: «الشيوعيون يأخذون



فائزة مصطفى

كل الانتهاكات التي ستعرض لها طفولتهم من حرمان من الغذاء والدواء والتعليم وربما حرمانهم حتى من الطفولة بإنخراطهم في العمل من أجل أن تسد عائلاتهم حاجتها من الطعام والسكن.

أتت هؤلاء السيدات بفكرة رشيدة انتقذن بها مستقبل أطفال الجنوب والوسط على المدى القريب ومستقبل إيطاليا بأكملها على مدى الزمان، بأن تستضيف عائلات الشمال أطفال الجنوب والوسط لفترة من الزمن ريثما تعيد المدن والمقاطعات المدمرة إعمار نفسها وتعيد العائلات ترتيب حياتها. لم تكن الفكرة سهلة التنفيذ على الإطلاق، فلكي تصبح واقعاً تطلب الأمر حملة من الرحلات والسفر في جميع أنحاء إيطاليا لإقناع عائلات الشمال باستضافة أطفال الجنوب والوسط وإقناع

أقل نسبياً.. العائلات تملك على الأقل وجبة طعام واحدة في اليوم وهذا كاف لأن يجعل شمال البلد بعافية مقارنة بجنوبها ووسطها المعدم تماماً من كل مقومات الحياة. وضع من اللا مساواة خطر حل بالمجتمع الإيطالي يومها. حالة من السخط كانت كافية جداً لتقود بلد حديث المياد والوحدة كإيطاليا إلى الإنقسام والتجزؤ، والذي كان يتكون في ذاك الوقت من خليط من إمبراطوريات وممالك ودويلات كل منها له تاريخه الخاص وعاداته وتقاليده وشخصيته جمعتها راية واحدة مائة وخمسين عاماً فقط غير كافية لضمان لحمه النسيج الاجتماعي بعد حرب مدمرة مثل هذه، حتى أنها كي تتوحد تحت هذه الراية الواحدة إستلزمته ثلاث حروب تحريرية ومعاهدات لا تحصى ولا تعد، إلى أن أتى من القوم فرد رشيد... لا بل نساء رشيدات.

اتحاد نساء إيطاليا المعروف إختصاراً بـ«أودي UDI»، والذي هو في الأصل حركة مقاومة نسائية ضد الحكم الفاشي ويتكون من سيدات حملن على عاتقهن مهمة الدفاع عن حقوق المرأة والطفل والنسوة العاملات، من أشهر عضواته «تيريزا نوشي»، «جوليتا فيبي» و«تيريزا بيروني». فكرت هؤلاء السيدات في أطفال الجنوب والوسط المدمرين وأحوالهم في هذه الفترة الصعبة من تاريخ الحرب والبلاد وبمعاناتهم مع عائلات تحاول أن تعيد بناء نفسها من الصفر، وفي

«حرب أهلية» ما أن تقال هذه التسمية حتى يتخيل السامع أنها شيء يشبه خلافات الأخوة في البيت الواحد، فيدير وجهه للجانب الآخر: «إنه شأن داخلي». والواقع أن الحروب الأهلية في وقتنا الحالي هي أبعد ما تكون عن الأهلية، ففي أرض المعركة ألف وألف يد خارجية، التخطيط وإدارة العمليات كلها من الخارج، والقرارات قبل وأثناء وبعد الحرب رسمتها تلك الأيدي لتحقيق أهدافها ومراميها.

السودان، سوريا، ليبيا، العراق، اليمن، لكل بلد منها قصته مع الحرب «الأهلية». كل منها بات داخل أرضه جيشان على الأقل وعاصمتان وحكومتان.. الانفصالات الجغرافية قادمة لا محالة، فالنفوس تم تأليبها على بعضها البعض والهويات الفرعية تم نخبها والحكومات الموازية أقامت تحالفاتها ورسمت سياساتها، مالم يخرج من القوم فرد رشيد، «فرد رشيد»...

إسمحو لي بالقفز بالحديث وأخذكم معي إلى إيطاليا. إيطاليا بعد الحرب العالمية الثانية، للعام 1944 حيث خرجت من الحرب بالغة الفقر والتشتت، كبريات مدنها الصناعية ميلانو، تورنتو، نابولي، روما؛ مدمرة تماماً فهي كانت هدفاً مباشراً لقنابل الحلفاء، تدمير البلد والبنى التحتية حتى لا تقوم له قائمة بعدها. جنوب ووسط إيطاليا حاق بهما دمار شامل أحدث فقراً مدقعاً لدى السكان، بينما الشمال الزراعي الرعوي كان تأثره بالحرب





## مدارات



## وقفة

يا ...  
وحدهم

مجد يعقوب

ولا يزال الاحتلال الغاشم يمارس كامل وحشيته المعهودة بمظاهرها الهمجية، بل ويزيد توحشاً وفضاعة في تنكيله بأهالي قطاع غزة وتهجيرهم وتدمير خيامهم التي أقاموها على الركام المتبقي من بيوتهم المدمرة، لثنيهم عن التمسك بأرضهم ودفعهم للخروج، يشارك في ذلك كل العالم سواء خفية أو علناً، فمن الحكومات من يقدم حلولاً جائفة من بعيد وعبر القارات، ومنها من يقدم أراضي القاحلة لأقامة أهالي غزة فيها، ومنها من يسترسل في التنظير والخطاب، والبعض كأنه لم ير ولم يسمع بما يجري، ومنهم من لا يريد أن يرى أو يعرف ماذا يجري، ومنهم من يعتبر أنها قضية لم تعد محورية ولم تعد ذات أهمية.

وفي واقع الأمر العالم بأسره متواطئ ويسعى لتنفيذ هدف الاحتلال الرئيسي في إخلاء الأرض من أصحابها (التهجير) أياً كان الثمن، ففي عالم المال يبدو كل ما جرى ويجري أمراً طبيعياً ولا بد من وقود مجاني لتنفيذ المشاريع الاستعمارية، وقود من جثث الأطفال، ودماء الشباب، ودموع الأمهات التكالى، وتجويع الرضع، وهدم الدور فوق أصحابها وحرق الحجر والبشر والشجر.

إنه لحم ودم يا سادة وليس ماء، ولكنكم تكابرون في الإقرار بذلك، لأنكم من معدن العالم الذي بتنا فيه، عالم بلا ضمير ولا حس إنساني، يقاد من سلطات تفكر بذهنية المال والاستثمار، لا ذهنية الحس الإنساني، وكل ما له صلة به من مشاعر وقيم وأخلاق، وإلا فكيف يمكن بأي حال من الأحوال لمن يملك أدنى حد من الإنسانية، أو ينتمي لنوع البشر أن يصمت أو يغض النظر أو يحاول تجاهل ما يحدث في قطاع غزة المنكوب الذي لم تنطفأ نيران الموت فيه منذ نحو عامين، ناهيك عما عرفه القطاع من حروب العدو السابقة عليه، لأن أهله أصروا على مقاومة المحتل..

ما تشهده غزة اليوم من فظائع لم يعد يصنف على أنه صراع بين طرفين، معتد ومعتدى عليه، أو حرب أو عدوان فقط، فلا وصف ينطبق عليه سوى وصف الإبادة بأوسخ حالاتها، وسط تواطىء القريب والبعيد، ومظاهر الخذلان غير المسبوقة.



مسيرة لاتحاد نساء إيطاليا



قطار السعادة

حملته سيدات إتحاد نساء إيطاليا في تظاهراتهن من خلال حملاتهن للدعوى لقطارات السعادة: "لا وجود لشمال ولا لجنوب هناك فقط إيطاليا".

استمرت قطارات السعادة من الجنوب والوسط نحو الشمال فترة 10 أعوام استعاد فيها الجزء المدمر من البلد عافيته، وعادت إلى أنحائه الحياة، فدارت محركات المصانع وإستعادت العائلات مصادر رزقها وأصبح فوق طاوالت طعامها وجبات ثلاث، فعاد أطفالها من الشمال وهم أكثر صحة وقد أصبحوا يملكون بدل الأم الواحدة أما ثانياً في الشمال وأباً ثانياً وأخوة آخرين بالإضافة إلى أخوتهم.

لولا أن خرج من إيطاليا من قام بدور "الفرد الرشيد" ممثلاً في "جمعية إتحاد نساء إيطاليا" بفكرة قطارات السعادة ما كانت لتكون هناك إيطاليا التي نعرفها اليوم، فهل يخرج منا نحن في: السودان، سوريا، ليبيا، اليمن، العراق أفراد رشيدون ينهوا الحرب وينقذوا الطفولة ويعيدوا لحمة البلاد، هل.. ياترى؟

الملايين من أطفال الوسط والجنوب من مستقبل مجهول بعد حرب دمرت كل شيء وسمحت لعائلاتهم أن تعيد بناء حياتها وقد تخففت من هم لقمة أطفالها ريثما تعثر على مصدر رزق يكفي ليعود ويجتمع بها الشمل مع صغارها من جديد، بعد أن تعمر مدن الجنوب والوسط نفسها وتستعيد المرافق والخدمات العامة عافيتها. والحقيقة أن هذه القطارات كانت لها أهداف بعيدة لا تقل أهمية من إنقاذ مستقبل الأطفال؛ ومن أعمق هذه الأهداف إعادة لحمة المجتمع الإيطالي والربط بين جميع أجزاء البلاد برابط أخوي حقيقي أكثر قوة ومتانة من الراية الواحدة والحدود الجغرافية، يزيل اللامساواة والاختلال الكبير الذي خلفته الحرب في مستويات المعيشة في أنحاء البلاد.

و من خلال هذا التعاون الشبيه برابط الأخوة بالرضاعة تم قتل شيطان السخط والغبن الذي كاد أن يثير النعرات والانتماءات الفرعية فيهدد وحدة المجتمع والبلد بأكمله. كان الشعار الذي

الأطفال ليطهوه ويأكلوهم في الشمال.. أحد هؤلاء الأطفال، والذي أصبح الآن في التسعين من عمره روى في مقابلة لقناة Ria الإيطالية التلفزيونية في حلقة تم بثها بمناسبة مرور أكثر من خمسين عاماً على أولى رحلات قطارات الأطفال من الجنوب إلى الشمال أنه عندما وصل إلى الشمال قادماً من نابولي، وفي أول ليلة له مع العائلة المستضيفة لم يستطع النوم كلما أخرجت السيدة "ربة المنزل" سكيناً في المطبخ بكى خوفاً من أن يلتهموه!

في نابولي أيضاً ولأول مرة وبالرغم من كل ما واجهته هذه القطارات من معاداة كنسية وحرب إعلامية أطلق على هذه القطارات إسم "قطارات السعادة" "Il terni della felicità"، وذلك لأن سيدات إتحاد نساء إيطاليا، ونظراً للفرق في طبيعة المناخ بين شمالي وجنوب إيطاليا، حيث الشمال شديد البرودة والجنوب دافئ، كن يقدمن للأطفال قبل صعود القطارات ملابس جديدة دافئة وأحذية متينة لامعة ووجبات طعام صحية وعلب عصير وحلوى تنقلهم من حالة الجوع المدقع والعري القبيح إلى نعيم الشعب وجمال المظهر فأطلق الأطفال أنفسهم على هذه القطارات إسم "قطارات السعادة".

لم تكن العائلات الشمالية التي استقبلت أطفال الجنوب والوسط عائلات ثرية. كانت بسيطة الحال تعتمد في حياتها على الزراعة والرعي، لها سقف يحميها من البرد ويأكل أفرادها ثلاث وجبات في اليوم. هذا كل ما كانت تمتلكه من الرفاهية، لكنها كانت في نعيم مقارنة بحال هؤلاء الأطفال مع عائلاتهم التي لم تكن تملك أي شيء. روى أحد أطفال العائلات المستضيفة في ذات المقابلة التلفزيونية المذكورة أعلاه والذي أصبح الآن عجوزاً هرمًا أنه وفي عشية اليوم الذي ستستضيف فيه عائلة أحد أطفال الجنوب أن والده جمعهم وقال لهم جملة جميلة جداً أصبحت مقولة مأثورة "الطبق الذي يطعم فرد واحد يستطيع أن يطعم إثنين".

كانت قطارات السعادة مثلاً مدهشاً للتكافل والتعاضد بين أفراد المجتمع الواحد وقصة رائعة ستظل محفورة في التاريخ عن عمق بصيرة هؤلاء السيدات ونظرتهم للمدى البعيد، بسببها تم إنقاذ

## فن السخرية لدى غسان كنفاني

ما الذي يدفع كاتباً مشهوراً، ينشط في بلد تتوفر فيه حرية التعبير (لبنان)، إلى الاستعانة بأسماء مستعارة مختلفة، ويكتب عبرها مقالات نقدية ساخرة ينشرها في مجلات وصحف مرموقة؟ هذا هو السؤال الذي قد يتبادر إلى ذهن القارئ وهو يهمّ بتصفح كتاب غسان كنفاني «فارس الفارس» الصادر لأول مرة عام ١٩٩٦ في طبعته الأولى عن دار الآداب البيروتية (صدرت نسخة عام ٢٠٢٤ في عمان عن دار الغينيق للنشر). يحتوي الكتاب على أكثر من سبعين مقالة نشرها كنفاني تحت إسم «فارس الفارس» في ملحق «الأخبار الأسبوعي» خلال عام ١٩٦٨، وأخرى نشرها في مجلة «الصيد» عام ١٩٧٢ حتى استشهاده في ذلك العام.

### الإسم المستعار بوصفه واحة حرية:

لم يلجأ كنفاني للإسم المستعار خوفاً من القمع والبطش، كما هو شائع لدى الآلاف من الكتاب الذي ينشطون في ظل أنظمة استبدادية وقيود الرقابة المكبلة لحرية التعبير. ما سعى إليه كنفاني هو الكتابة ضمن مساحة إضافية ولكنها ضرورية للتخفيف من الحرج الاجتماعي الذي يتلبس عادة الكثير من الكتاب/النقاد حين يسعون لطرح وجهة نظرهم الصريحة حيال ما يقرأونه من إصدارات، إذ يعلمون تماماً مدى الحساسية المفرطة التي يشعر بها الأدباء والكتاب والفنانون على مختلف مشاربهم وتوجهاتهم الفكرية والسياسية تجاه أي نقد صريح لأعمالهم، خاصة إذا أتى هذا النقد من أصدقائهم وزملائهم. وكما يقول محمد دكروب: «بنى غسان كنفاني لنفسه واحة يفئ إليها...يشعر فيها - ربما - بأنه أكثر حرية وتفلتاً وانفلاتاً مما هو في مجالاته الإبداعية الأخرى.. كان غسان يأنس إلى هذه الواحة مرة في الأسبوع.. وكانت تلك المقالات الأسبوعية طرازاً فريداً في النقد الأدبي العربي يتناول فيه الأعمال الأدبية والفنية بسخرية ضاحكة». من جانب آخر كتب كنفاني تلك المقالات الأسبوعية ليقفلت قليلاً من «وطأة المستلزمات النضالية وموجات الحزن في ذلك الزمان، زمن الوطء الثقيل



محمد ديتو

والغليظ ميزان إسمه جحا! / معجم سالم ..لانتخابات مكسرة/ عن كتاب مزعج). في تلك المقالات انتقد كنفاني الكتابات التي لا ترتقي بفن السخرية بل تقوم عوضاً عن ذلك بتطوير لفن التهريج. ويشير إلى أن الإطلاع الأدبي، والموهبة النقدية، والوعي السياسي، هي ثلاثة عناصر تساعد على الإرتقاء بفن السخرية العربي من تخوم التهريج إلى مستوى النقد السياسي والاجتماعي والفلسفي.

قرأ كنفاني التراث العربي بعين فاحصة ونقدية، وتوصل إلى نتيجة أن «الأدب العربي كان فقيراً في فن السخرية فقره في علماء الذرة. ومع أن أسماء مثل الجاحظ، وبديع الزمان الهمذاني، وجحا، والمازني كانت جديرة بإرساء قواعد أدب عربي ساخر من طراز عالمي، إلا أنه يبدو أن الجيل المعاصر قد ولد مُكشراً» حسب تعبيره. يفرق كنفاني بين تنكيت «أبو نواس» وعبقرية السخرية لدى جحا. يقول: «إن فن السخرية هو أصعب فنون الكتابة على الإطلاق، إذ المطلوب من الكاتب أن يقنع القارئ بأن دمه خفيف...ومن هنا بالذات تكمن الصعوبة في السخرية، فهي شيء أعرق من «الاستلباس»، وأكثر معنى من النكتة»، ويشير إلى أن «الأدب الساخر ليس تسلية، وليس قتلاً للوقت، ولكنه درجة عالية في النقد». يُميز كنفاني بين نوعين من السخرية:

الموجع المفعج لهزيمة حزيران 1967. حسب تعبير دكروب، ويضيف أن واحة كنفاني تلك كانت «واحة ضاحكة باسمه ساخرة وسط عبوس الثقافة العربية، الحزبية والجادة جدا في ذلك الزمان». لا عجب إن تم اعتبار كنفاني من قبل العديد من الكتاب بأنه كان رائد الصحافة اليسارية غير المملة بلا منازع. لم يسلم كنفاني من الهجوم عليه حتى حين لجأ للأسماء المستعارة..منذ إخترت أن أكتب هذه الزاوية كسبت من الشتائم ما لم أحلم بكسبه في حياتي مضروبة ثلاثة!»، كما يقول في إحدى مقالاته في مايو 1968. ويضيف قائلاً: «البعض يقول إن فارس الفارس شخص غير حقيقي، والبعض يقول إن إسمي مستعار (لمجرد أنهم لم يتعرفوا إلي شخصياً) والبعض يقول إن أحدهم يكتب لي، وهذه الاتهامات تتبع تكتيكاً متعمداً هو محاولة إشغالنا بمعارك جانبية عن الالتفات إلى حقيقة الموقف النقدي». ويشير كنفاني إلى الشتائم التي طالته وطالت أيضاً كتاب ومدراء تحرير «الأخبار» و«الصيد».

### السخرية أكثر معنى من النكتة

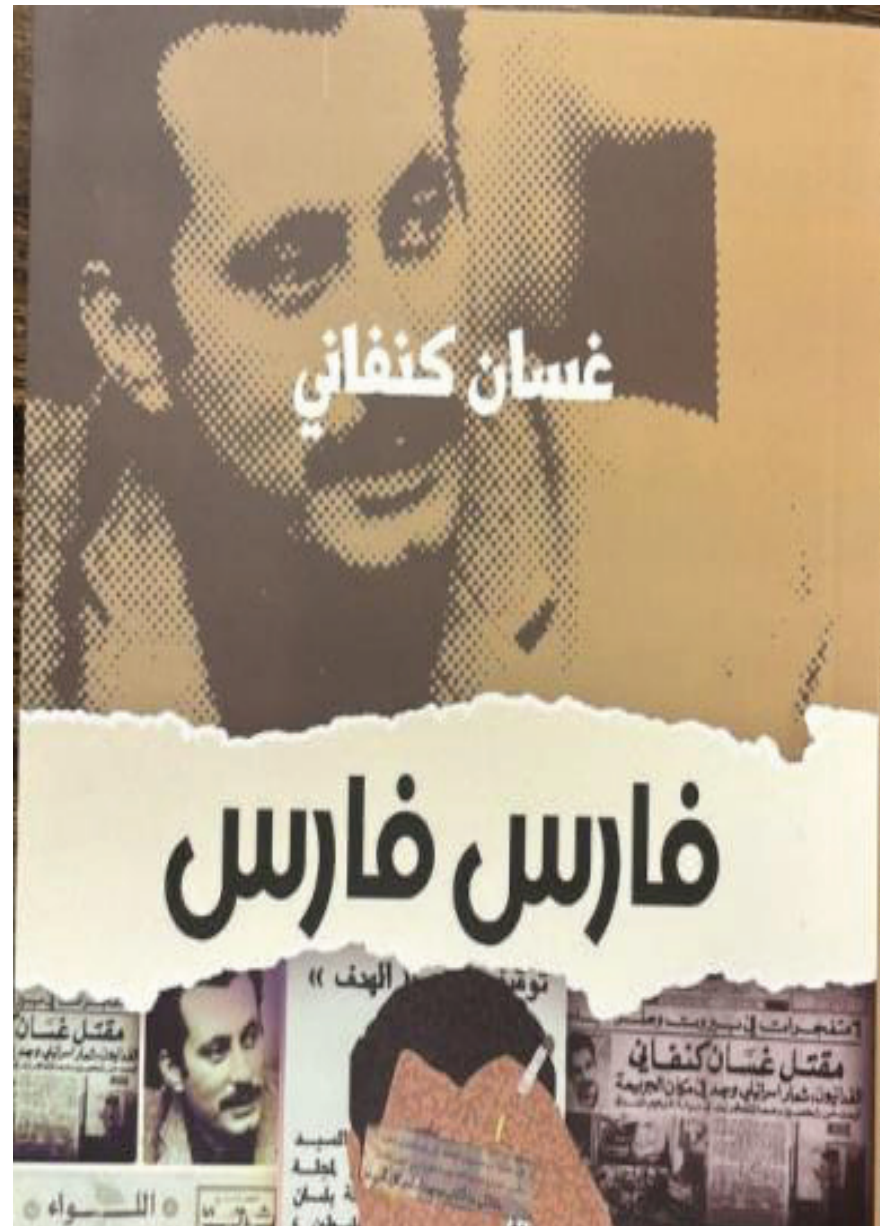
من جملة المواضيع العديدة في الكتاب، لفت نظرنا على وجه الخصوص كيف لخص كنفاني رؤيته لفن السخرية في ثلاث مقالات هامة ( بين المهضوم





من الأغاني تعبير "هزيمة 5 حزيران الفنية" (على وزن نكسة 5 يونيو 1967). يطرح كنفاني سؤاله: "من المسؤول عن ذلك؟.. ليس هذا مستوى مؤلفي الأغاني في البلد، ولكنه من المؤكد أنه مستوى المحظوظين والزلم وأبناء العادة (العادة، في هذا البلد، لها أولاد، فإذا اعتاد مسؤول على اسم فإنه يلتصق به ولا يستغني عنه ويقبله جملة وتفصيلاً). في نفس المقالة يوجه كنفاني نقده لظاهرة "تبشيع الأصوات في البرامج الفكاهية" ويقول "ليس في تشويه اللهجة أية طرافة! أهذه هي حاستنا الضاحكة في هذا البلد؟ إنها شتيمة لنا!"

تحضر في أذهاننا ملاحظات كنفاني أعلاه ونحن نشاهد ونقرأ انتشار "التهريج" و"التنكيث" في المسلسلات المنتشرة في الفضائيات والمنصات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي. لقد إعتاد الرأي العام على التهريج إلى درجة فقدان القدرة على التمييز بينه والسخرية الهادفة بالمفهوم الكنفاني. "فارس الفارس" أحد المؤلفات العابرة للزمان والمكان بحق، إذ تتجلى في أسلوب مقالاته ما يذكرنا بسمات الكتابة الإبداعية وفق ما حددها ذات مرة الكاتب الإيطالي "إيتالو كالفينو" وهي: الخفة، السرعة، الدقة، الوضوح، التعددية (لاحقاً أضاف صفة الإتساق). المقصود بالخفة هو الأسلوب الذي يصوغ فيه الكاتب أفكاره عبر الابتعاد عن كل ما يثقل بنية النص الذي يكتبه. أما السرعة فتعني الإنسيابية في النص التي تجعل قراءته مريحة (وحسب تعبير إستخدامه الناقد والروائي الكويتي طالب الرفاعي: إسرع بتمهل). وتشير الدقة في بعض جوانبها إلى استخدام لغة محددة بعيدة عن التصنع، مع استحضر صور بصرية حادة في التعبيرات تعلق بذاكرة القارئ، وتساهم في وضوح ما يقصده الكاتب، أما التعددية لدى كالفينو فهي حين يساهم النص الإبداعي في فهم أفضل لشبكة الصلات بين الأحداث والناس وكيفية تفاعلهم معاً.



التي راجت في تلك السنين. نقرأ في مقالة بعنوان: "إنقاذاً لكرامتنا الفنية المهدورة، مطلوب ماوتسيقار فوراً!!"، ما يلي: "لماذا يتوجب على حياتنا الفنية أن تكون مملكة للتافهين والعاطلين، يرموننا بكل ما يقع تحت أيديهم بقلة ذوق لا مثال لها، ثم يكونون - هم ذاتهم - وجهنا الفني وحضارتنا؟"، ويضيف قائلاً: "إن أبشع بياعة العربات فيها منطق ومعنى ولمسات شعرية أكثر من 99 بالمئة من أغانيها".

كان كنفاني يقصد في مقالته موجة الأغاني على غرار أغنية "عالبطاطا البطاطا" وغيرها التي لقت رواجاً تلك الأيام، وأطلق على تلك الموجة

قضية "السلام الإسرائيلي" كلها في عشر كلمات موجزة، ويستطيع أي كان، وهو يضحك عليها أن يتعلم منها أيضاً. ويقول كنفاني: "أريد أن أقول إن الجملة الساخرة الأفضل هي الجملة التي يبذل فيها جهد أكثر. فالسخرية ليست مثل المنشور الحزبي لأنه حيثيات وشروح وشعارات وملئ بالكلام الذي قيل سابقاً، ولكنه من النوع المختصر الذي ينفجر مثل القنبلة، فيهز القارئ ويفاجئه ويحرك في رأسه الراكد عشرات من الصور والتخيلات".

جانب آخر من سياط سخرية كنفاني تمّ تسلطها على موجة الأغاني المبتذلة

«السخرية الهدامة سهلة بالمقارنة مع السخرية البناءة، فالأخيرة تحتاج إلى وعي أعمق وثقافة أوسع ومقدرة أكبر على فهم روح القارئ». ثم يطرح كنفاني التحدي الذي يواجهه الساخر: «كيف يمكن للسخرية أن تكون بناءة وتظل في الوقت ذاته أدباً ساخراً خفيف الدم، لا محاضرات فيه ولا أوامر ولا استغراق مزيف في الأيدولوجيات؟ هذا في الواقع أمر يخص المؤلف ذاته. وهو المطالب بايجاد وسيلة ومخرج».

في مقالة مهمة بعنوان «عن كتاب مزعج» إنتقد فيها كنفاني بحدة أحد الكتاب - إسمه سالم الجسر - الذي ألف كتاباً أسماه «المزعجون» يتضمن سخرية جارحة لنماذج من الثقل الذي تزخر بهم الحياة. يقول كنفاني: «إن السخرية ليست تنكيثاً ساذجاً على مظاهر الأشياء، ولكنها تشبه نوعاً خاصاً من التحليل العميق. إن الفارق بين التنكيث وبين الكاتب الساخر يشبه الفارق بين الحنطور والطائرة، وإذا لم يكن للكاتب الساخر نظرية فكرية فإنه يضحي مهرجاً... إن السخرية ليست في إيراد التعبيرات المضحكة ولكن في الأسلوب الذي يشعر المرء، من الأول إلى النهاية، بكرباج الإبتسامة الجارحة يعمل في الموضوع نقداً عميقاً، وكى يستطيع الكاتب أن ينقد بسخرية فإنه أولاً يجب أن يمتلك تصوراً لما هو أفضل»، ويواصل كنفاني قوله «إن السخرية تعطي، عن طريق الضحك، نقداً يلخص المشكلة بأفضل من مليون مقال».

ثم يضرب كنفاني مثلاً من أجمل وأعمق الأمثلة على فن السخرية الهادف بقوله: «خذ مثلاً على ذلك ما يردده رجل إنجليزي: المعروف أن كلمة «بييس» Peace بالانجليزية تعني السلام، وأن كلمة Piece التي تلفظ بنفس الطريقة تعني قطعة، قال إن «البيس» التي يريده الاسرائيليون هو «بييس» من مصر و«بييس» من الأردن و«بييس» من سوريا! ... هذه السخرية ليست ضحكة فقط، ولكنها اكتشاف يلخص جوهر الموضوع كله، وانتقاد يغني عن ألف مقال. لأنه يضع

# فانوسك



د. زهراء المنصور

ماذا تسمون من

يكون سعيداً يوم الأحد؟ متقاعد!

تنسب هذه المقولة الطريفة إلى مجهول حطّ فكرته ومضى، لكنه عكس شعور التخلص من روتين العمل الذي يستمر لثلاثي عمر الإنسان، ثم يختار بعدها حالته في أول الأسبوع؛ هل سيجد حياة جديدة ومختلفة بعد التقاعد، باعتبارها منحة جديدة يمارس فيها كل ما فاتته في وقته السابق بحكم ارتباطاته الوظيفية؟ أم سيكون رهين التعلق بالماضي وزهرة الشباب «المزعومة» التي ذهبت في سبيل من لا يقدرها، مع كثير من البكائيات والنواح غير المجدي؟ ذلك أن التقاعد هو شعور التخلي والخذلان، وأنه محارب ومضطهد وزائد عن الحاجة، وكلها أحاسيس تجعله وحيداً، قابلاً للموت! ورغم كونها فكرة تميل للفنتازيا، لكنها واقعية وملموسة للأسف، وبخاصة للأشخاص من مدمني العمل وتروسه.

يصف نص «الفانوس»، لمؤلفه الكاتب الإماراتي محمد سعيد الظنحاني، الحالة الداخلية لبطله الذي تم التخلي عنه في غفلة من الزمن. هو الذي كان يركن قوته بانتسابه للوظيفة محور حياته؛ حيث لا حياة له بعدها، أتى على ذكرها في معظم مقاطع النص الأربعة والعشرين، والمكتوبة بما يتناسب وتقسيم شعوره بين فقد الوظيفة؛ الموازي لفقد كل معاني الوجود، وانحسار الأضواء الذي أشعره بالظلام، فبات يلاحق أي شعاع من بعيد؛ ومعاناته ووصفه لتكوينه الأسري وعلاقته بوالدته -تحديداً- والذي يعني تبعاً تكوينه النفسي المكتشف مقطوعاً بعد الآخر؛ وعلاقته الرمزية بالفانوس الذي استحوذ على النص وفكرة العرض.

بحسب للمخرج خالد أمين الاشتغال على النص مجدداً، وقراءته المغايرة في «الفانوس»، رؤية مختلفة تماماً، استنبطها من فكرة النص وبعض الملامح التي عمل على تطويرها؛ حيث ذهب النص إلى جعل الفانوس أحد أفراد العائلة: «كنا أربعة: أنا وأمي وأبي والفانوس. ذهبوا ولم يبق إلا أنا.. أنا وأنت. متى أردت التخلي عني، لحقت بك.. أنا وأنت



كما أشار إليها المخرج في جزء من كلمته في كتيب العرض: «لكل مخلوق في الحياة فانوسه الخاص لينير له دربه. أما فانوسنا، لا ضوء له. فانوسنا روح؛ روح تعب، انهارت بعد الفقد، وأكملت انهيارها إلى أن أصبحت جوفاء فارغة، والفراغ حكمها حتى أصبحت ظلمة». وهكذا حتى أصبح بطل العرض مجهول الاسم هو نفسه فانوساً، دقة بدقة. ويلاحظ هذا في شكل الكتيب الذي عهد بتصميمه للفنان نصار النصار، الذي استوعب الحالة الشعورية والتوأمة لدرجة الالتصاق بين الممثل والدمية، وارتباط حياتهما ومصائرهما معاً، فأظهر التعبيرات المتطابقة كما يجب.

ويقوم عرض المونودراما بخداع المخرجين المبتدئين والمتحمسين، والذين يعولون على وجود شخصية واحدة ومونولج طويل يسرد بطريقة أو بأخرى؛ متغافلين بذلك عن

توأمين؛ ما يصيب أحدهما يصيب الآخر». وهذا التعلق الذي أصاب البطل بفانوسه ليس وليد وحدة أو مشاعر متعلقة بأن الفانوس عاصر والديه، بل هو بمثابة وصية عُهدت له من والده بمعاملته كـ«أخ»! برمزية تحمل في داخلها الكثير. وعوضاً عن أن يكون الفانوس فانوساً مادياً في يد البطل، ارتأى المخرج أن يحدث الفارق بدمية فانوس -على اسم البطل داخل العرض-، حتى تولد بذلك الملازمة بين الطرفين في كل التفاصيل.

والفانوس الذي أثر المخرج ألا يغير عنوانه عن النص الأصلي، يعني النور الذي يطرد العتمة. وهذا الالتصاق بين البطل وفانوسه كأخ وند في النص والعرض، يتزامن في أوقات التوهج والتألق، وحتى الانطفاء، في ترابط عني به فترات حياة البطل. الفانوس هنا، وأشكال أخرى من الفوانيس





## ثقافة



ويتعلق الأمر الآخر بالإضاءة التي رمت في النص الأصلي إلى انحسار الأضواء عن الشخصية، وصارت تلاحق أي بصيص ضوء تكون تحته، بينما لم يستغل العرض هذه الفكرة التي تؤرق جميع من شعروا/ يشعرون بسحب البساط من تحتهم - وهم بيننا - فباتوا يفعلون أي شيء من أجل هذا البقاء المرهون بالتواجد، ولو بالزيف. فهل تستحق الأضواء، أو الوظيفة، كل هذا الاضطراب الجلل؟

جزء كبير من نجاح هذا العرض وتفاعل الجمهور معه، بالرغم من أنه خارج المسابقة الرسمية المقامة في مهرجان الفجيرة للمونودراما في نسخته هذا العام: حُسن اختيار المخرج خالد أمين لطاقتهم المميز بانشغالاته الفردية، والنجاحات الملموسة، والعاملين بروح الفنان الحر الذي صقلته الدراسة والخبرة ومن قبلهما الموهبة، بالإضافة إلى الأساس، عبر الأخذ بخلاصة فكرة الفانوس ومعالجتها، حتى وإن تعاطف المتلقي مع معاناة متقاعد يرى في حفلة وداع العمل بمثابة كتابة شهادة وفاة. لذا كانت رسالة أمين في هذا العرض واضحة؛ لكي يختار كل منا فانوسه الخاص قبل أن يحين الوقت.

غير محدد الهوية، وهذا شكل إيجابي يصب في عدم تعيين بيئة العرض بإشارة دالة، والمدير في العمل التي تمت الإشارة إليها سابقاً.

ولم يتجاوز عرض «الفانوس» مدة نصف ساعة إلا بقليل، وتلك ميزة أخرى لا ينتبه لها المخرجون الذين يتولون «تنفيذ العرض» دون الدخول في مضمونه، مما يسبب تشتت الجمهور بشكل كبير، خصوصاً إذا ما تزامن هذا مع إيقاع غير محسوب، وفي عروض المونودراما تحديداً. ورغم هذا؛ كانت هناك مسألتان تستحقان النظر فيهما لو قدر لهذا العرض أن يُعاد: أولها إعادة النظر في ديكور مأى الخشبة حتى أزعجها بدون استعمال حقيقي، أو ارتباط بفكرة العرض، بينما لو استخدم كرسيًا وحيداً أسود يُستخرج وقت الحاجة، سواء للمدير أو للأُم باعتبار أنهما لا يظهران في مشهد واحد معاً، كان سيبدو مريحاً للعين أكثر، خصوصاً أن البطل يعبر عن فكرة الخواء النفسي حينما يعبر: «كل شيء حولي فراغ.. كأني بين كفي فراغ»؛ وأيضاً لا يمكن إغفال التشكيل السينوغرافي الرائع الذي ختم به العرض في سرير يتوسده فانوس وتوأمه ليكون هذا وداعه/ وداعهما وانطفاءهما الأخير.

القهوة/ الزمر.

وصنع العرض هنا الدمية الأساسية لفانوس، والأُم والمدير في العمل الذي استوحى المخرج شخصيته «الليينة» من حديث النفس للبطل عن روحه المخطوبة بعد خروجه من مكانه لفخ العمل، والتمدن، والإيقاع السريع: «سرقت المدينة الكبيرة هناة عيشنا، وفتحت أبواب الفراغ. نلجها إلى غرف يشيدها رجال أو أشباه رجال.. بلا قلوب ولا رحمة..» وقامت الرشيدى بتنفيذ الفكرة شكلياً على دمية المدير ذي الشعر الناعم، مع أداء دال جداً من الممثل على طبيعة الشخصية. وبالإضافة إلى استخدام العرض للدمى الثلاث الرئيسية، وُجدت عرائس أخرى معلقة ضمن الديكور.

وعلى صعيد متصل، تبرز الأزياء التي صممتها الدكتورة ابتسام الحمادي في اتساق مع حالة الفانوس المتأرجحة، القلقة في المنطقة الرمادية من كل شيء، فاخترت المصممة أن تلبس بطل العرض اللون الرمادي الدال على المنطقة الحائرة التي تعيش حالاتها علناً أمام الجمهور، وهذا ينطبق على الدمية المرافقة؛ حيث دمية فانوس التي تلبس نفس زيه تماماً، إشارة إلى تلاحم الشخصيتين، وحيث دميتا الأُم

ارتهان هذا النوع من العروض لأداء الممثل وقدرته على تحمل عبء توظيف كل العناصر المسرحية المساعدة، والقدرة على إيصال الحالة من خلال الأدوات المتاحة؛ بصرية أو سمعية أو مادية. اختار المخرج أمين الممثل عبدالله التركماني، صاحب الحضور المميز والموهبة التي تتقوّلب أينما يوضع، في تقمص شديد للشخصية؛ تقمص صادق مشحون بروح فانوس المخدول، الضئيل، الواشك على الانطفاء، ولولا بعض العبارات المحلية التي قطع بها لغته العربية لنسي -ربما- الجمهور أنه الممثل الذي يسرق النظر في الكوميديا والتراجيديا على حد سواء.

استطاع التركماني الاتصال بجمهور الصالة الذي توحّد مع معاناة المتقاعد، وتوحد معه رغماً عنه، بفضل هذا الأداء الواعي للممثل في قراءة الشخصية وما يحولها. فالبطل في النص عانى من علة غير واضحة، أودت به لحرمانه من الزواج والانجاب، وهو ما كان يرغب به ويردد ما يردده الآخرون الذين يربطون وجودهم في الحياة بوجود ذرية تضمن الوجود -الاسمي- لهم في الحياة، دون إقران هذا الوجود بالأثر ومعنى الوجود. وطالما لم يرد هذا المفهوم على فانوس؛ الذي يفصح بمباشرة: «إن ذلك العجوز، أبي، استطاع أن يحقق ما لم أستطع أن أحققه بعده. فأنا اليوم أخفتي وأخفيه!». لذلك زادت أسباب الفقد لديه وتكاثرت: الأُم أولاً، والعائلة التي يرغب تالياً، وأخيراً العمل الذي أجهز على الباقي من أسباب الاستمرارية والعيش، فانتهت الحياة.

وجرت العادة؛ استخدام الدمي في المسرح في أعمال مسرح الطفل أو المسرح المدرسي، لتقريب الصورة والمعنى للفئة المعنية من الجمهور؛ حيث الحرص على جذبهم واستقطابهم، لكن هذه الصورة الذهنية قد تغيرت قليلاً حينما استعان مسرح الكبار بهذه الأداة، خصوصاً في عروض المونودراما؛ حيث إدماج الدمي حيلة ذكية لخلق علاقات مع الشخصيات الأخرى، واستعانة البطل/ة بأدوات تعبر فيها عن الحالة، لكن وجود الدمية يساهم بشكل كبير في إيصال شعور الوجود البشري لممثلين آخرين، خصوصاً إذا كان العمل منضبطاً ومتقناً، كما تفعل فنانة الدمي المتخصصة د.خلود الرشيدى التي تحرص على ديناميكية الدمية لتسهيل تفاعلها مع الممثل، وقامت بهذا مسبقاً في عدد من العروض المهمة، مثل العرض المونودرامي غلطان بالنمرة/ الذين على يمين الملك/ كيري ميري/ الهجين/ لنشرب

## دبابة تحت شجرة عيد الميلاد



حميد الملا

هي واحدة من الروايات الثلاث المترابطة التي أصدرها الكاتب الفلسطيني إبراهيم نصر الله وأطلق عليها إسم «ثلاثية الأجراس» (ظلال المفاتيح)، (سيرة عين)، (دبابة تحت شجرة عيد الميلاد)، وهي من أبرز الأعمال الأدبية التي وثقت محطات مختلفة من تاريخ ومعاناة الشعب الفلسطيني بأسلوب أدبي رفيع، ومن يقرأ هذه الثلاثية يقرأ ملحمة فلسطين منذ سيطرة العثمانيين والاحتلال الإنجليزي ومن ثم تسهيل الهجرة لليهود لفلسطين من قبل إنجلترا حتى نهاية الانتفاضة الفلسطينية الأولى وما قام به الصهاينة من مجازر، فقد فرض الاحتلال قيوداً على كل مناحي الحياة، من اعتقالات تعسفية إلى تدمير الممتلكات ومصادرة كل ما يخطر ببال الجندي الصهيوني من أثاث وحتى حلق الإذن لدى النساء ولم تسلم الأسنان إن كانت ملبسة بالذهب، ومن خلال تلك الروايات الثلاث استطاع نصر الله أن يوظف الشخصيات المتنوعة من الشعب لتكون معبرة عن النسيج الفلسطيني من مسيحيين ومسلمين، مما يُضيف للعمل عمقاً وثراءً.

وبأنها أرض جرداء، وخالية من البشر، وبأنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض كما يدعون، وبذلك تجاهلوا الوجود الفلسطيني التاريخي الذي يمتد لآلاف السنين قبل المشروع الصهيوني، فالشعب الفلسطيني متجذر في الأرض، يمارس حياته بشكل طبيعي كالزراعة والتجارة والحياة الاجتماعية قبل أن يسطر الصهاينة أرضهم ويدنسوها بجرائمهم التي لا تُعد ولا تُحصى، فقد كانوا يديرون مجتمعاً مزدهراً، وكانوا متصلين بالعالم الخارجي من خلال موانئهم وأسواقهم: "لقد حلت اللعنة على هذه الأرض منذ أن صلبنا المسيح، ولذلك لم يسكنها أحد!"

وعلى الرغم من طرد اليهود للفلسطينيين ظلوا متشبثين بأرضهم رغم التنكيل والقتل فكانت مفاتيح بيوتهم يحتفظون بها معلقة في رقابهم كالتمايم كرمز للعودة: «المفتاح ليس مجرد قطعة من الحديد، إنه دليل على أننا لم ننس، ولن ننسى ما تركناه خلفنا».

الحبكة السردية لتلك الروايات الثلاث جميلة وسلسلة ومشوقة، واستخدام الرموز كان موفقاً، كالمفاتيح الذي يمثل الأمل باستعادة البيوت المستولى عليها، والدبابة كرمز للقهر والتي تعكس القمع العسكري والتجسيد الدائم للاحتلال، وكأداة للترهيب والقوة والبطش وشجرة عيد الميلاد التي تمثل الفرح والسلام لدى الفلسطينيين المسيحيين: «كيف يمكن أن تُضاء شجرة الميلاد في وطن تغرق أرضه بالظلام؟ إنه التحدي الأكبر: أن تصنع نوراً رغم كل شيء».

وفق إبراهيم نصر الله الكاتب والشاعر جداً في اختيار تلك الرموز ليصور مقدار الجرائم الإسرائيلية ضد الفلسطينيين المسلمين العزل وتعكير صفو حياتهم من خلال إبرازهم في ظل الاحتلال، فكانت شهادة على معاناتهم واحتفاء بإنسانيتهم وصمودهم أمام الآلة الهمجية الصهيونية.

أن تقرأ رواية «دبابة تحت شجرة عيد الميلاد» يعني أنك قد قرأت أكثر من خمسمائة صفحة من المأساة الفلسطينية منذ الاحتلال العثماني وبعده الإنجليزي ومن ثم وصول العصابات الصهيونية إلى أرض فلسطين لتعيث فيها فساداً وإجراماً، وكما يقول الناشر: "ما يمكن أن نصفه بأنه رواية روايات، متصلة، منفصلة في آن، بحيث تستطيع القارئة/ القارئ، قراءة أي واحدة منها، باعتبارها عملاً مستقلاً، أو قراءة الثلاثية كلها كعمل متعدد الوجوه، متكامل، لحكاية واحدة هي حكاية فلسطين خلال القرن العشرين.



إليها بعد الاحتلال البريطاني ومقاومتهم لكلا الاحتلالين: «لقد أغلق الإنجليز كل صحفنا وطاردوا صحفييها، وتركوا لليهود الحرية الكاملة في إصدار صحفهم»، بل إن الإنجليز كانوا يقومون بمناورات مشتركة مع الصهاينة بهدف التدريب على اقتحام القرى الفلسطينية وإخلائها من سكانها، بعد السيطرة عليها ونسف بيوت المطاردين، ويضاف إلى ذلك ما اختلقه اليهود من أساطير وخرافات بمساعدة الإنجليز تمهيداً للاستيطان واحتلال الأراضي وطرد أهلها منها: «لقد بنى هذا العدو أسطورة احتلاله لفلسطين بأنها كانت صحراء، وسيحوّلها إلى جنة! ولكن فلسطين كانت دائماً جنة، وكل ما يفعله الاحتلال هو تحويلها إلى صحراء. لم أر أحداً في هذا العالم يعادي الأشجار، مثل هؤلاء الإسرائيليين وجيشهم».

كما بنى الصهاينة روايتهم من أجل احتلال فلسطين على كذبة "إن فلسطين أرض خالية من السكان" كما قال زعيم عصابتهم ثيودور هرتزل في كتابه (الدولة اليهودية)

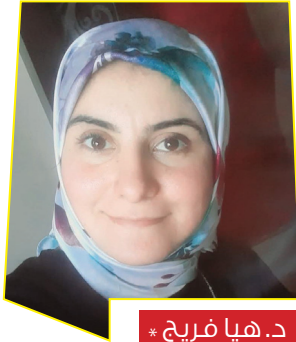
فلسطين كانت دائماً أرضاً متعددة الثقافات والأديان (إسلامية، مسيحية، يهودية) على مرّ العصور، فتركيز الرواية على مدينة بيت ساحور وبيت لحم والقدس كمدن مختلطة مسيحية إسلامية عبر عصيانها المدني كمدن حمل رسالة قوية بأن جميع الفلسطينيين متوحدون في النضال ضد الغزاة الصهاينة، وبالخصوص إبراز الدور المسيحي في النضال: «في بيت ساحور، تعلمنا أن المقاومة ليست فقط حجارة في يد طفل، بل هي فكرة تنبض في قلوب الجميع، من المزارع إلى المعلم، ومن الطفل إلى الشيخ»، فتجربة العصيان المدني كانت ناجحة، حيث قاطع السكان منتجات الاحتلال وبدأوا في الاعتماد على أنفسهم، جلبوا الماشية، واشتروا الأبقار بديلاً عن شراء الحليب المنتج من إسرائيل وصنعوا الخبز بأنفسهم حتى لا يشتره من الإسرائيليين، فكانت حياتهم اليومية معركة ضد الاحتلال، وبالتالي فإن «بيت ساحور ليست مجرد مدينة، إنها رسالة تقول للعالم إن الاحتلال يمكن أن يكسر الحجر، لكنه لن يكسر القلب».

استطاع الكاتب أيضاً أن يبرز التناقض بين قسوة الاحتلال وأجواء الفرح التي استطاع الفلسطينيون خلقها رغم ذلك كالأحتفالات بالأعياد والأعراس والمناسبات المختلفة: «في كل بيت هناك دمة مخفية، وقصة لا تُروى، لكن رغم ذلك تظل القلوب تنبض بالأمل»، فالهجرة إلى فلسطين قامت على العلاقة بين الصهيونية والنازية واستندت إلى ما يعرف باتفاقية الهافارا التي وقعت بتاريخ 7 أغسطس 1933، بالسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين مقابل كسر الحصار الاقتصادي الدولي على ألمانيا بعد وصول هتلر إلى الحكم، وبذلك استطاع الكاتب تتبع ما عاشه الفلسطينيون وقاسوه من الاحتلال منذ الحرب العالمية الأولى ماراً بتلك الأجيال حتى لحظة انتفاضة الحجارة في العام 1987 والتي بدأت في 8 ديسمبر بعد حادثة دهس أربعة فلسطينيين على يد مستوطن صهيوني قرب حاجز بيت حانون شمال قطاع غزة وانتشرت الانتفاضة لتصل الضفة الغربية.

إنه ما يحدث لفلسطين الآن تماماً، بل أن ما يحدث الآن هو تكملة لما حدث سابقاً بل يفوق بكثير ما سبق من حيث الصورة التي تصل إلى العالم والذي مازال يتفرج بلا ضمير أخلاقي أو ضمير إنساني برفع صوته ليقول للصهاينة كفوا عن هذه الجرائم

رواية مزدحمة بالعناوين، وما قام به كاتبها عملاً مذهلاً فوق التصور، في إبراز القضية فلسطين وتاريخ وصول اليهود





د. هيا فريج \*

## حكاية من غزة

يرن في رأسي الصوت الملائكي (فيروز) بموسيقاها العذبة:

«عندي بيت وأرضٌ صغيرة  
فأنا الآن يسكنني الأمان  
لا أبيع أرضي بذهب الأرض  
ترابٌ بلادي ترابُ الجنان»...

لوالدي قطعة أرض صغيرة على بحر «بيت لاهيا» شمال غزة، يمشي إليها رغم بعد المسافة، وتوفر وسيلة المواصلات، يقضي أيام الإجازة فيها، يزرع ويسقي، حتى ملأها شجراً، بعد طول عناية ورعاية، وكثير صبر واستشارة، ولا يغادرها حتى يحين المغرب، فيعود متعباً منها؛ ليستكمل عمله، فيجهز تحضيره للدروس. يعرف أرضه بشكل رهيب، يقتص آثار المارين إليها، فيعلم بدخول الغريب والقريب بإذنه أو دونه، ومهما كنا نأخذ احتياطاتنا إلا أن الأمر كان يُكشف.. يحصي ثمار كل شجرة، ويسعد ببقاء الحبات تتلألأ على الشجر، يكره أن يقطف محصوله أحد سواه، ويصدر تحقيقاً غاضباً إن وجدها ناقصة. رفض بيعها بربح مضاعف، أو مبادلتها بقطع أرض أكبر، وامتنع عن إقامة مشروع فيها، إذ يكره التجارة، ولا يريد أن نغتنى بشيء غير الدراسة والتدريس، واكتفى بشكر الله على عظيم نعمه عليه، مع الدعاء بأن تبقى ذخيرة للأبناء بعد أن يأخذ الله أمانته. جرفت الأرض، وانهارت البناية الصغيرة فيها، فقد تركزت الأليات العسكرية في تلك المنطقة طيلة العدوان.

وبعد الانسحاب الجزئي من الشمال، عاد إخوتي ليتعهدوا أمانة والدهم النازح قسراً إلى الجنوب، يحاولون رفع الركام، وإصلاح ما تبقى، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الشجر، إلا أن الأرض أصبحت حفرة واسعة فقد قصفت بالطائرات الحربية مرة أخرى الأسبوع الماضي، وبذلك اقتلعت كل أشجار الزيتون، والنخل، والبرتقال، والليمون، والرمان، وكل شتلات المرمية والنعناع والبقدونس والزعر.

لا نبكي فردوسنا المفقود، لكن يعز علينا خراب البلاد، وضياح كل الأحلام، ولا يهون علينا كل هذه الخسارات، لكن عزاءنا الوحيد أن الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم، وأن جزاء صبرنا عظيم بأن لنا الجنة...

وهذه روايتي للتاريخ؛ كي لا يأتيني سادج بعد سنين؛ ليقول: «إنكم قد تركتم أرضكم» أو «بعتم بلادكم»، وكي لا يعطيني غبي نصائحه في أهمية الزراعة، وأثرها في إبعاد المجاعة.

وهذه إحدى حكاياتنا التي أقولها نيابة عن جموع الجياع المتعقّفين في شمال غزة، الذين يعدون الكتابة ترفاً في وقت لا يجدون فيه ما يفطرونه.

وهذه قصتنا الإنسانية التي لا تبثها الفضائيات التي تردد كلاماً مكرراً فارغاً، وتحليلات مضللة، مترفعة عن ذكر معاناة الإنسان الحقيقية...

\* كاتبة فلسطينية مقيمة في غزة



## وداعاً فناننا الكبير

السجية هي طبيعة المرء بلا رتوش؛ بلا تزويق وافتعال.. إذ يمكننا أن نكون الخير وننتهي له، وإذا عبرنا مشاهد شحيحة الجمال، نبذل الجمال من قلوبنا بقدر ما نفتقده، فيصير فعل العيش نفسه مبعوثاً ورسولاً عنا.

قد لا يمر بخلد من يملك سجية الجمال أن في أفعالهم ما يثير الدهشة والإعجاب لأنها ببساطة معجونة بتشكيلهم الجواني الخالص.

ذات يوم شتوي، أخذت لوحتين للفنان الكبير عبدالكريم العريض لإيصالها لمعرض مشترك ساهمت في تنظيمه بشكل ما، كانت السماء تمطر بغزارة.. لا زلت أتذكر قلقه وهو يوصيني بتنظيف نوافذ السيارة. وما أن هممت بالخروج حتى أوما لي بنبرة حانية «توقفي ابنتي» وأخذ قطعة قماشية يمسح بها الزجاج «أرجوك.. اهتمي بنفسك».. وكأنه يرسم ستارة من الطمأنينة عليها، لا زال هذا الموقف العابر الذي لم يحتل غير دقائق كثيفة المعنى عالماً في ذاكرتي رغم مرور السنين. غادرت المرسى ولوح لي من بعيد.. وداعاً يا فناننا الكبير.. ألف رحمة ونور

بتول حميد



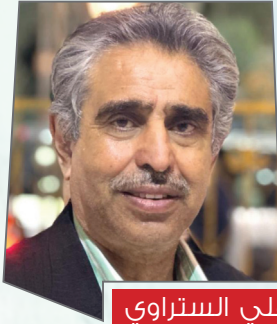


# التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن - مدير التحرير: فاضل الحليبي - سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

التقدمي العدد 210 - مايو 2025 السنة 23 SDPA 499

## حبيبتني التي أنتظر !



علي الستراوي

أحبك، واشد من جسدي نحو جسديك  
لعل ما أدركه الليل ..  
احتفظ به القمر في سماء بعيدة  
ولعلني التفتيك ..  
أمد يدي لملاطفتك ..  
أكسر حجاب خوفك،  
أعيدك لصدري بهدوء ..  
وأخرجك من دار معتمة ..  
مات على نوافذها الخوف، وانكسرت كل اقفال  
الدنيا امامها..!

(ومهما بلغنا من الكبر عتياً، اشتاق لك،  
أحنو عليك متحسناً تنور نهارك الذي لا يغادره  
طيفك الذي أشعل في ذاكرتي شموعاً لاتعرف  
الذوبان ولا يحترق فتيلها في قلبي، أحبك واجر  
جسدي لألتصق بجسدك كي أشعر بالأمان وبدفء  
لا يغادرني أبداً)

تلك هي حبيبتني التي عودتني على حمل ثقل  
أسقامها ومنذ أول الفجر تعد إلي فطور الصباح  
بقهوة وكأس حليب شهى يثير بيني وبينها لغة  
الحنين التي لاتحف، لأنها مأذنتي العالية، وعمري  
الذي ليس له رفيق غيرها في معترك الحياة..!

فجاروت خوفك بصمت أشد من واقع اسرك، دخلت  
جبانة موحشة لعبت فوق ترابها الكلاب السائبة  
مذ كنت في النطفة الأولى من التكوين ولعبتك  
ليس كالألعاب الأطفال المتعارف عليها!  
إنحدار شديد القسوة تقدم ليقسو فوق نبضك،  
يعصرك تارة وأخرى يُقلم فيها أظفارك بقوة  
الاعتصاب..!

وما كان الليل في ظلمته وحيداً، ولا كنت  
في السقوط الأول من موقع الجمر، تكالبت على  
أسلافك سنن ليست من الرأفة وليس كمثلهما في  
الشقاق حطب لنار فظيعة!

ها أنت تغسلين خطيئته طيور المدينة،  
تتمسكين بضعفك، وشاحك قد تمزق فوق جسدي،  
حيث من يراك يظنك جثة هامة.

الشهوة غراب ضائع في السراب  
وتلك التي اعتدت على إيقاظها ..  
غادرتنا من سنين (الجريش)  
لأن التمر قد غزاه السوس ..  
وأمرتته العناكب بالشباك الضيقة  
حصاراً بغيبض أخذك مني ..  
وظل الباب وحيداً يحبك صمته  
وأنت من خلفه ليس بينك وبينه حجاب

عدت أنقي البحر من شوائب التعب....وأداري  
خريطة الدنيا من ثقل أحزانها... لعل الصباح  
المغيب يقرع أبواب السلام .. ويرضع طفولتنا  
حليب الأمان... ويعيدك إلي ساخنة بعد انتظار  
ليل طويل...

وكنت أداريك وأحمل جراب تعبتي، أقرع أبواباً  
موصدة لا تتصل بنا في الحلم ولا تدرك أنها مغيبة  
عن ذاكرة محبيها، هي موحشة يقبع فيها ظل  
لايفارق الجدار ولا يعرف أن المرأة قد تفصح يوماً  
حنينه المحبوس، تخرجه للملأ جثة هامة.

وكنت أراقبك وانتبعت خطواتك، أدخل حيث  
تدخلين إلى سراديب أنت وضعتي اختامها في  
محفظة النسيان، ولم تغادري، لأنك لاتستطيعين  
كسر عادتك التي فطرتي عليها منذ طفولتك.

اعتدت أن تغسلي بكائك بحد السكين دون  
أن تشعري بالألم، توحدت في انطوائك المميت  
بالحزن ولم يستطع الحزن أن يأخذك مني  
..وكلما اقتربت أكثر من شق الباب داهمتني رغبة  
في كسره والدخول عليك دون خوف ودون أذن  
..اشتدت ظلمة حجرتك الوحيدة في الصمت وفي  
انشغالات انت مارسيتها دون رضى الآخرين،  
ودون اعتبارات أنت مدركة عواقبها!  
تدحرجت حولك كل ناطحات السحاب،